المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

المكان في الشعر السعودي

١٤٠٠ – ١٤٣٠

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

في الأدب العربي

إعداد الطالب

عبد الخالق بن خضران بن مساعد الزهراني

الرقم الجامعي

٤٣٠٨٨٣٤٩

إشراف الدكتور

حبيب حنش الزهراني

السنة الجامعية

١٤٣٦ هـ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

مدخل إلى الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الولي المعين الحق المبين والصلاة والسلام على الهادي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

تبقى العلاقة وثيقة بين الإنسان والمكان منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، حيث يتبادلان التأثير والتأثر في صور من التفاعل وأشكال من التعامل والتناغم ، فالإنسان يستمد من المكان – في تعدد أنواعه وتنوعها – العلامات الدالة على هويته في شتى تجلياتها الفردية منها والجماعية ، اللغوية والثقافية ، الدينية والحضارية ، فكأن المكان عنوان هوية الفرد ورمز انتمائه الجماعي ، ومصدر تشكيل العديد من العلامات الدالة على اختلافه ، ومن ثم على خصوصيته ، باعتبار إسهام المكان في تكوين المفيد من عناصر شخصيته النفسية منها والذهنية ، الفردية والجماعية ، الأخلاقية والسلوكية ، وهذا ما يفسر إِشكال التعالق القوي بين الإنسان والمكان ، ويعلل حضوره المهم في مختلف مجالات إبداعه ، ومنه المجال الأدبي ، وتحديداً المجال الشعري بسبب انفعال النفس الإنسانية بصور المكان وتفاعلها معه في مختلف مراحل حياتها ، عندما يحوي وقائع وجودها الفردي ومغامراته كما سيرورة وجوده الاجتماعي وما تقوم عليه من أحداث تجسد تفاعل الذات الفردية مع الذات الاجتماعية قبل أن يتحول إلى

ذكـرى أو بـالأحرى إلى ذكريـات يعمـد الفـرد وهنـا الشـاعر إلى إسـتعادتها في واقعـه الراهن لما لها من أثر في النفس كما في الوعي .

لقـد شـغل المكـان منزلـة مهمـة في الشـعر العربـي قديمـه وحديثـه ومـا البدايـة الطلليـة في الشـعر الجـاهلي ومـن حـذا حـذوه إلا مظهـر مـن مظـاهر هـذه المنزلـة الرفيعـة والمهمـة للمكـان – باعتبـار حميميـة العلاقـة بـين الشـاعر والمكـان في شـتى صـوره وانبنائهـا علـى الكـثير مـن الوقـائع والمغـامرات الـتي تشـكل وجـوده ، والـتي تتحـول إلى ذكريـات تختزنهـا ذاكرتـه ، ولمكـان الطفولـة في تعـدده وتنوعـه ذاكرتـه الخاصة هو أيضاً ، وكذلك الشأن بالنسبة لمكان ذاكرة الشباب وذاكرة الكهولة .

فالمكـان إطـار لوقـائع وجـود الفـرد ومغامراتـه عنـدما تعـاش قبـل أن يتحـول إلى إطـار للـذكرى ومصـدر لهـا ، وبنـاء عليـه فهـو مصـدر أسـاس مـن مصـادر القـول الشـعري باعتبـار أن الخطـاب الشـعري هـو خطـاب ذات يسـتمد منهـا خصوصـيته وهـو خطـاب ذاكـرة يسـتمد منهـا موضـوعاته الشـعرية ، الفرديـة منهـا والجماعيـة والإنسـانية ، وينهـل أخيلتـه وصـوره وحتـى لغتـه ، فالمتخيـل الشـعري يسـتمد مـن ذاكـرة المكـان صـوره في شـتي جوانبهـا ، وبـذلك كـان للمكـان حضـوره المهـم في تشـكيل الـنص الشـعري وهـو يسـهم بـدور فاعـل مـع بقيـة العناصـر التكوينيـة الأخـرى في تحويله من النفس إلى النص .

كـل هـذا يظهـر المنزلـة المهمـة للمكـان في حيـاة الإنسـان عامـة والأثـيرة في حيـاة الشـعراء خاصـة ، والـذين طالمـا احتفـوا بـه في إبـداعهم الشـعري كـذكرى في وقفـاتهم الطليـة أو كـالحنين إلى الأوطـان ممـا قـد يرفدونـه في أغلـب أغراضـهم الشـعرية ،

فكان المكان مصدراً مهماً من مصادر إلهامهم وموضوعاً أساساً من موضوعات قولهم الشعري ، مما يعلل تواتر حضوره في نصوصهم الشعرية ، القديمة منها الضاربة في العراقة ، أو الحديثة الضاربة في مسالك التجريب والحداثة الشعرية ، والشاعر السعودي في العصر الحديث لم يكن بدعاً في تعاملة مع المكان إذ يجعله من خلال استحضاره في إبداعه الشعري عنصراً تكوينياً مهماً من عناصر تشكيل القصيدة وصوغ القول الشعري ، حيث يقف قارئ المدونة الشعرية السعودية الحديثة والمعاصرة على حضور لافت للمكان بأشكالة المتعددة المكان الموطن ، المكان الوطن ، المكان المدينة ، المكان الريف ، المكان الخاص المكان العام ، المكان الواقعي المكان المتخيل ، والمكان المقدس الذي حظي باهتمام بعض النقاد والدارسين في العصر الحديث دون غيره من أنواع المكان كما سنرى بعد قريب في هذه المقدمة .

أولاً : مشكلة البحث للدراسة :

لما لم يحظ مبحث المكان ما عدا المكان المقدس بالمنزلة التي هو بها جدير في الدرس النقدي السعودي الحديث والمعاصر وذلك حسب ما استطعت الاطلاع عليه ، فان الباحث اختار البحث في مشكلة المكان في الشعر السعودي ، في محاولة منه إضاءة مختلف السمات المفيدة لهذه الظاهرة البارزة في هذا الشعر والكشف عن مجمل أبعادها الدلالية الذاتية ، وجوانبها الموضوعية النفسية والاجتماعية عن مجمل أبعادها الدلالية الذاتية ، وجوانبها الموضوعية النفسية

والاجتماعية المحلية والقومية والإنسانية والأدبية / الرمزية ، وذلك من خلال استجلاء طبيعة تعامل الشاعر السعودي مع المكان ، فضلاً عن كشف خصائص قصيدة المكان الجمالية ، من حيث علاقة المكان ببناء القصيدة أو أثره على الصورة الشعرية ومتخيلتها ، وما تتسم به اللغة الشعرية فيها ، كل ذلك استناداً إلى ما يمثله المكان من قيمة في حياة الشعراء السعوديين وعوالمهم الإبداعية .

ثانياً : أهمية الدراسة :

هذه الدراسة موسومة ب " المكان في الشعر السعودي " وهي تستمد أهميتها من اهمية مبحث المكان في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة ، في المجال الأدبي عامة والشعري منه خاصة ، إذ بدأ تحول التركيز على الموضوعات الشعرية إلى الاهتمام بالعناصر التكوينية التي تسهم مجتمعة في التشكيل الفني للنص الشعري وعنصر المكان أحدها ، يضاف إلى ذلك أهمية المكان في حياة الشاعر ومن ثم في إبداعه الشعري ، حيث يتواتر حضوره في النص الشعري بشكل لافت في شكل ذكرى أو حنين أو تجارب ومغامرات منقضية في الزمان يعمد الشاعر إلى استعادتها في الزمن الحاضر تعبيراً منه عن أثرها في نفسيته ، ومن ثم عن قيمتها في عوالم وجدانه ، وهو ما يكسب دراسة المكان في الشعر السعودي أهميتها الذاتية والموضوعية والفنية ، حيث تكشف لنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين الشاعر السعودي والمكان ومن ثم عن صور

تعاملـه مـع مختلـف أنواعـه وتشـكلاته في الممارسـة الشـعرية خاصـة وأن هـذا المكـان يقـوم بـدور فاعـل وأساسـي في احتـواء تجـارب وجـوده ومغامراتـه قبـل أن يتحـول إلى صور من الذكرى والحنين في شعره .

وبنـاء عليـه فـإن هـذه الدراسـة تسـتمد أهميتهـا مـن أهميـة المكـان في حيـاة الإنسـان عامـة والشـاعر خاصـة وهـو هنـا الشـاعر السـعودي ، ومـن أهميـة المكـان في الـدرس النقـدي الحـديث والمعاصـر ، ومـن أهميـة المكـان عنصـراً تكوينيـاً مهمـاً مـن عناصر تشكيل النص الشعري السعودي الحديث والمعاصر .

ثالثاً : أسباب اختيار الموضوع :

تضـافرت عـدة أسـباب مثلـت – مجتمعـة – حـوافز للباحـث دفعتـه إلى اختيـار هذا الموضوع والموسوم بالمكان في الشعر السعودي ، ويتمثل أبرزها في الآتي :

١. أهميـة مبحـث المكـان في الدراسـات النقديـة الحديثـة والمعاصـرة في المجـال الأدبـي عامـة والشـعري خاصـة ممـا سـيجعل المكـان مبحثـاً نقـدياً يتـوفر علـى أفق الجدة والطرافة .
٢. تـوفر مبحـث المكـان علـى إمكانـات الإضـافة الفنيـة والدلاليـة للمنجـز النقـدي في المجـال الشـعري ، وذلـك لتعـدد مسـتويات بحـث درسـه النقـدي وتنـوع أبعادها الدلالية .
٣. قلـة الدراسـات النقديـة الـتي اتخـذت مـن مبحـث المكـان موضـوعاً، ماعـدا مـا اتصل منها بالمكـان المقدس كمـا سـيأتي بعـد قليـل ، وذلـك مقابـل غـزارة المـادة

الشعرية التي شكل المكان فيها عنصراً أساسياً من عناصر التجربة الإبداعية للشاعر السعودي ، مما يؤكد أهمية حضوره في النص الشعري السعودي الحديث والمعاصر ، ومن ثم أهميته في حياة الشاعر السعودي الذاتية والإبداعية على حد سواء .

٤. الرغبة في الكشف عن خصائص تعامل الشاعر السعودي المعاصر مع المكان ومن ثم الكشف عن طبيعة علاقته به وخصائص تحويله من مكان حاو لتجارب الذات و مغامراتها في الوجود إلى نص شعري ، أي تحويله من مجال المعيش الذاتي والجماعي والإنساني إلى مجال الإبداع الشعري ، وما يتميز به من قيم فنية ، أي تحويل المكان من عنصر تأثيثي في حياة الشاعر الإنسان إلى عنصر فني في تشكيل النص الشعري لما يتوفر فيه من قيم فنية ورمزية تتعدد مجالاتها الدلالية وأبعادها .

رابعاً : الدراسات السابقة :

ليس ثمة دراسة متكاملة اتخذت من المكان في الشعر السعودي موضوعاً ، ماعدا المكان المقدس كما سلفت الإشارة ، حيث نطالع عناوين ، مثل " المكان المقدس في الشعر العربي " لوليد مشوح وشعرية المكان المقدس " لحافظ المغربي ، ونطالع أيضاً بحثاً عن المكان في الشعر الأندلسي لأمل بنت محسن العميري ، وبحثاً آخر يحمل عنوان " مكة والمدينة في الشعر السعودي " لإنصاف بخاري.

وربما كان المكان في الرواية السعودية أوفر حظاً في النقد السعودي الحديث والمعاصر حيث تعددت الدراسات التي اتخذت منه مبحثاً سواء في شكل مؤلفات مستقلة أو مقالات ، مثل كتاب (جماليات المكان في الرواية السعودية) لحمد البليهد .

أما المكان في الشعر فهو في حاجة ماسة لدراسة مستوعبة لما يطرحه هذا المبحث من مسائل جديرة بالبحث ، تكون من الشمول والعمق ، بحيث تتناول مجمل نواحيه وتبرز مجمل إشكالياته النظرية منها المتصلة بالمفهوم والإجرائية المتعلقة بإشكال تمثل الشعراء السعوديين للمكان متصوراً ذهنياً وعنصراً تكوينياً يسهم في تشكيل نصوصهم الشعرية .

خامساً : منهج الدراسة :

إن المنهج الذي بدا للباحث ملائماً لدراسة موضوع المكان في الشعر السعودي هو المنهج الوصفي التحليلي ، حيث سيقوم باستقصاء النصوص التي يشغل فيها المكان مساحة حضور مهمة وكما هو معلوم أن قصائد المكان ليست قصائد كاملة في الغالب وإنما هي بيت أو أبيات تأتي مفرقة في القصيدة الواحدة ، وبعد استقصاء هذه النصوص يقوم بوصفها وتحليلها على المستويين الدلالي والفني بقصد الوقوف عند خصائص صورة المكان في الشعر السعودي ، والمستمد من خصائص تمثله له في شتى أنواعه وتجلياته في واقعهم النفسي ، الذاتي والجماعي / المحلي والقومي / وما يتميز به من سمات مفيدة دالة .

سادساً : هيكلة الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، حيث أبان الباحث في المقدمة مشكلة الدراسة وأهميتها وأسباب اختياره لها موضوعاً للمعالجة فالدراسات السابقة لها ثم المنهج المتبع في تناول مجمل المسائل المتصلة بها وأخيراً هيكلتها .

أما الفصل الأول فقد خصصه الباحث لتحديد مفهوم المكان وفلسفته ، بينما أفرد الفصل الثاني لدراسة :" أشكال حضور المكان في الشعر السعودي ، ثم تناول في الفصل الثالث : " المكان ودلالته في الشعر السعودي " وهي الدلالات الذاتية النفسية ، والاجتماعية والقومية والإنسانية والأدبية الفنية ، وأخيراً عالج في الفصل الرابع قصيدة (المكان دراسة فنية ، حيث تم التركيز على دراسة المكان وبناء القصيدة والمكان والصورة الشعرية والمكان واللغة الشعرية .

ثم أثبت الباحث في الخاتمة أبرز ما توصل إليه في دراسة المكان في الشعر السعودي من نتائج ، وقد أردف كل ذلك بإثبات مصادر الدراسة وكذلك فهرس الموضوعات .

وبعد ، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أحمد الله الذي أسبغ علي من واسع فضله على تيسيره لي في إتمام هذا البحث ، كما أشكر والدي فضيلة الشيخ خضران بن مساعد الزهراني على ما بذله معي مادياً ومعنوياً طول فترة البحث ، كما أتقدم بجزيل الشكر لجامعة أم القرى ولكلية اللغة العربية

وأخص سعادة الدكتور حبيب بن حنش الزهراني المشرف على الرسالة ، وسعادة الدكتور صالح جمال بدوي وسعادة الدكتور أحمد سليم عبد الوهاب على ما بذلوه معي لإتمام هذا البحث ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

مفهوم المكان وفلسفته

الفصل الأول

مفهوم المكان وفلسفته

تعددت المقاربات التي رامت تعريف مفهوم المكان وضبط حدوده النظرية وتنوعت حسب المجالات التي صدرت عنها ، وذلك أن للمكان ارتباطات عديدة بالمجالات المختلفة الاجتماعية والجغرافية والنفسية والأدبية ، وهو ما أكسب المكان تعريفات متعددة لكل منها خصوصيته التي يستمدها من خصوصية المجال الذي ينتمي إليه في ضوء مقوماته وخصائصه النوعية .

١ – المكان لغة :

يجدر بنا قبل مقاربة مفهوم المكان في العديد من مجالات المعرفة والأدب الوقوف عند حدوده النظرية لغة ، من خلال رصد أبرز التعريفات التي وردت في المعاجم العربية قديمها وحديثها .

فقد جاء في " لسان العرب لابن منظور " : المكان ، الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة ، وأماكن جمع الجمع ، قال ثعلب : يبطل أن يكون (مكان) فعالاً لأن

العرب تقول : كن مكانك ، وقم مكانك ، وأقعد مقعدك ، فقد دل هذا على أنه مصدر من (كان) أو موضع منه . [1]

وحدد ابن دريد " المكان " في معجمه " جمهرة اللغة " بأنه مكان الإنسان وغيره والجمع أمكنة ولفلان مكانة عند السلطان أي منزلة . [2]

وورد في " المحكم " لابن سيده : (المكان) الموضع ، والجمع أمكنة ، وأماكن جمع الجمع [3] . وهذا المفهوم اللغوي يحدد المكان بأنه موضع ملموس واقعي لا كما يفهمه الفلاسفة بأنه فضاء .

وجاء في " تاج العروس " من جواهر القاموس " لمحمد مرتضى الزبيدي ، المكان : الموضع الحاوى للشيء ، وعند بعض المتكلمين أنه عرض ، وهو اجتماع جسمين حاو ومحو ، وذلك ليكون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي ، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين ، وليس بالمعروف في اللغة . [4]

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م ، ج ١٣ ، ص ٤١٤ .

(٢) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ط ١ ، دار الباز ١٤٣٠ ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة ، ت – د . عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٢١ هـ ، ج ٧ ،ص ٧١.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضي الزبيدي ، تحقيق د . حسين نصار (مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٤ – ١٩٧٤) مادة مكن .

اما علي بن محمد الجرجاني فيورد في " التعريفات " عدداً من آراء الحكماء والمتكلمين في تعريف المكان ، فيقول " المكان عند الحكماء هو سطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي ، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده . [1]

ثم يقسم المكان إلى قسمين : مكان مبهم ومكان معين ، فالمكان المبهم هو " عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلف ، فإن تسميته ذلك المكان بالخلف إنما هو سبب كون الخلف في جهة وهو غير داخل في مسماه .

والمكان المعين : هو عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر داخل في مسماه كالدار ، فإن تسميتها به بسبب الحائط والسقف وغيرهما ، وكلها داخلة في مسماه ورغم تعدد التعريفات المعجمية للمكان وتنوعها قديماً وحديثاً فإن المفهوم اللغوي للمكان يكاد يكون واحداً ، ومن ثم مشتركاً بينهما ، بسبب أن العرف اللغوي يرى أن للمكان حداً واحداً وهو (الحاوي) أو (الكائن) ، سواء أكان مدركاً بالحواس أم بالتصور الذهني . [2]

---

(١) التعريفات ، على بن محمد الجرجاني ، طبعه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، ط ١ (دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م) ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

٢ – المكان في الفكر الفلسفي :

إن أهمية المكان في حياة الإنسان كما في شتى أنواع إبداعه جعلته يمثل أحد شواغل الفكر الفلسفي منذ أقدم الأمم كالإغريق حتى الأزمان الحديثة .

فهو عند أفلاطون " غير حقيقي وهو محل التغيير في عالم الظواهر المحسوسة " [١]

وهو إلى ذلك الحاوي ، باعتباره الامتداد ذا الأبعاد الثلاثة " الطول ، العرض ، العمق وهو الذي يحوي الموجودات التي من أخص خصائصها عدم القابلية للنفاذ في بعضها أي أنها لا تتداخل . [٢]

أما أرسطو فقد اعتبره " موجوداً " مادمنا نشغله ونتحيز فيه ، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبزرها حركة النقل من مكان إلى آخر ، وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه وسابق عليها ولا يفسد بفسادها . [٣]

ويري بعض الفلاسفة أن المكان يتصف باللامتناهي والأزلية وعدم الفناء وهذا الرأي يتنافى مع الرؤية الإسلامية الأساسية الحقة (كل من عليها فان) .

---

(١) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، على عبد المعطي محمد ، دار المعرفة ، الجامعة الإسكندرية ، ١٩٨٤ : ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية ، عبد الحميد المحادين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١ م ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٣) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٨.

أما ايمانويل كانت فيرى أن المكان وأيضاً الزمان ليسا إلا إطارين من أطر المعرفة يأتي لها العقل الإنساني لترتيب الأشياء ولا وجود للمكان والزمان خارج العقل [1] .

ويستدعي غاستون باشلار [2] الزمان في محاولة تعريفة للمكان وذلك بسبب العلاقة التلازمية ومن ثم التكاملية القائمة بينهما حيث يقول : " إذا كان الزمان هو الخط الذي تستدعيه الأحداث فإن المكان يصاحبة ويحتويه "[3] ويوضح ابن سينا رؤية الفلاسفة للمكان بأنه الشيء الذي يحوي الأشياء كالبيت للناس أو ما يكون فيه الشيء كالأوعية مثلاً . [4]

وهو ما يفيد أن المكان هو حاضر الوجود الإنساني وشرطة الأساسي مما يؤكد العلاقة المضمرة بين المكان كوعاء وظرف وبين كينونة الشيء الموجود فيه ، وهي المساحة التي جال فيها الفكر الجدلي الفلسفي أمداً طويلاً ، وربما كان الاقرب في اشتقاق المكان لغوياً من (كون) لأنه بذلك يتضمن معنى الزمان إذ لا يمكن

---

(١) مشكلة المكان الفني ، يوري لورتمان ترجمة سيزا قاسم ، مجلة " ألف " العدد ٦ ، السنة ١٩٨٦ م .

(٢) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية ، ط٢ ، ١٩٨٤ م ، ص ٨٣.

(٣)المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٤)نظرية المكان في فلسفة ابن سينا حسن العبيدي ، ص ١٠٥ .

للحدث أن يقر بلا محدث أو بلا زمن محدد يقع خلاله إضافة إلى المكان الذي يقع فيه . [1]

٣ – المكان في التراث النقدي العربي القديم :

يقف متلقي التراث النقدي والبلاغي العربي القديم على العديد من الإشارات المتصلة بمفهوم المكان وماهيته عامة كمتصور نظري ، وبمفهوم المكان في النص الشعري خاصة ، حيث يتم التركيز على فاعلية المكان في حياة الشاعر ونفسيته ومن ثم على تشكيله في القصيدة ودوره في بنيتها الفنية والدلالية .

وقد تجلت هذه الإشارات النقدية لمفهوم المكان ووظيفته في النص الشعري في اتجاهين أساسيين :

الأول : عني بأثر المكان أو البيئة في الشاعر أو ما يمكن تسميته بعلاقة المكان بالشاعر والذي جعل من المكان عاملاً أساسياً في تكوين الذات الشاعرة وفي اتصافها بسمات خاصة .

أما الاتجاه الثاني : فيتناول علاقة الشعر (النص) بالمكان ، سواء فيما يتصل ببناء البيت الشعري أم بالصورة الفنية أم بالغربة المكانية المتحققة في بكاء المنازل والديار والوقوف على الأطلال وشعر الغربة والحنين .

---

(١) فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة ، أمل طاهر ، مجلة جامعة الملك سعود (الآداب) ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧٠ .

فمن النقاد الذين أشاروا إلى الاتجاة الأول فبينوا تأثير المكان في نفسية الشاعر وفي إلهامه وقوله الشعري ، ما أورده ابن رشيق القيرواني في " العمدة " من أقوال بعض الشعراء تبرز علاقتهم بالمكان وتأثير هذا الأخير في حالهم الشعرية ، فهذا أحدهم يقول وقد سئل : كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال أطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة ، فيسهل على أرصنه ويستدعى إلى أحسنه [1] .

وقال الأصمعي : " ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي ، وقيل (الحالي) يعني (الرياض) " . [2]

ويكشف الشاهدان المذكوران أثر المكان في تلقيح قريحة الشاعر و تيسير قوله الشعري عندما يعسر عليه ويتعذر حتى وإن كان من فحول الشعراء ، وهذا ما يؤكده قول الفرزدق ، حين يتعطل عنده قول الشعر : " تمر علي الساعة وخلع ضرس من أضراسي أهون علي من عمل بيت من الشعر " . [3]

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٦ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ، ص ٢٠٣ .

ويـري أبـو عثمـان الجـاحظ في (الحيـوان) أن للمكـان " البيئـة " أثـراً في قلـة الشـعر وكثرتـه [1]ممـا يفيـد فاعليـة المكـان في الإبـداع الشـعري ، مـن خـلال تـأثيره في نفسـية الشاعر وإنتاج حالته الشعرية التي تلهمه القول الشعري .

أمـا الاتجـاه الثـاني الـذي يسـتند إلى علاقـة الشـعر بالمكـان ، فيتمثـل في وضـع بعـض الأدبـاء رسـائل أو مؤلفـات خاصـة لبيـان علاقـة الشـاعر بالمكـان الـذي يحضـر في أكمـل صـوره وتجلياتـه في غـرض الحـنين إلى الأوطـان ورثـاء البلـدان ، نحـو الرسـالة الـتي وضـعها الجـاحظ في الحـنين إلى الأوطـان والـتي أشـار فيهـا إلى أثـر غربـة المكـان في الشـاعر وشـعره وكتـاب أسـامة بـن منقـذ " المنـازل والـديار " وكتـاب " أدب الغربـاء " لأبي فرج الأصفهاني " .

ومـا تلـك الرسـائل والكتـب إلا علامـة دالـة علـي أهميـة المكـان وفاعليتـه في نفـس الشاعر وقولة الشعري والمتلقي في آن واحد .

ويقـول حـازم القرطـاجني في أثـر الحـنين إلى الأوطـان في قـول الشـعر " لمـا كـان أحـق البواعـث بـأن يكـون هـو السـبب الأول الـداعي إلى قـول الشـعر هـو الوجـد والاشـتياق والحـنين إلى المنـازل المألوفـة وألا فهـا عنـد فراقهـا وتـذكر عهودهـا وعهـودهم الحميـدة فيهـا ، وكـأن الشـاعر يريـد أن يبقـي ذكـراً ، أو يصـوغ ممـا لا يحيـل فيـه حـال أحبابـه ، يقـيم المعـاني المحاكيـة لهـم في الأذهـان مقـام صـورهم وهيئـاتهم

---

(١) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبـد السـلام هـارون ، ص ١ ، مطبعـة مصـطفي الحلبي ، ١٣٨٦ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ .

ويحاكي فيه جميع أمورهم حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم ، أحبوا أن يجعلوا الأقاويل التي يدعونها المعاني المتخلية لأحبابهم المقيمة في الأذهان صوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم ، مرتبة ترتيباً ينزل من جهة موقعة من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم ، ويوجد في وضع تلك بالنسبة إلى ما يدركه السمع شبه من وضع هذه بالنسبة إلى ما يدركه البصر " . (١)

وكشاهد دال على علاقة العربي عامة والشاعر خاصة بالمكان ، نجد عدداً من النقاد القدامى يشبهون بعض الأشعار بأنها كالقصور المشيدة والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور ، وبعضها كالخيام الموتدة التي تزعزها الرياح وتوهيها الأمطار ويسرع إليها البلى ويخشى عليها التقوض . (٢)

وهذه الفكرة مستوحاة ومقتبسة من قول ابن رشيق القيرواني في العمدة " البيت من الشعر كالبيت من الأبنية " قراره الطبع وسمكه الرواية ، ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى ، ولا خير في البيت غير مسكون " . (٣)

وبناء عليه فإن مسألة تشبيه البيت الشعري بالبيت / السكن ليست مثلما قد يتبادر إلى الذهن مسألة شكلية ، لكنها نابعة من عمق وجدان العربي ، ومن

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الخوجة ، دار الكتب ، تونس ، ص ٢٤٩ .

(٢) عيار الشعر ، محمد بن أحمد المعروف بابن طباطبا العلوي ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ص ١١ .

(٣) العمدة ، بن رشيق القيرواني ، ج ١ ، ص ١٢١ .

تجسد مكانة الشعر عند العربي ، تلك التي توازي عنده المكان الذي يجسد الراحة والاستقرار والحماية " . [1]

وعندما يكون الحديث عن المكان في الشعر والنقد العربي القديم فيجدر بالباحث أن يتوقف عند ظاهرة لها حضورها في الدرس الأدبي وهي ظاهرة الأطلال ، فالطلل عند الشاعر العربي الجاهلي والوقوف عليه أمر مهم جداً ، فالقصيدة الخالية من هذا هي قصيدة مبتورة ولم تنل حظاً من النضج والكمال ، فالطلل عند الشاعر الجاهلي ليس مجرد مكان خلا منه أهله ، وإنما هو رمز للفناء وزوال الحياة ، والمكان قبله يمثل الحياة بكل تفاعلاتها ، فتثور من خلال هذين الأمرين أحاسيس الشاعر واصفة مبدعة متعلقة في عمق الفكرة القائمة على رصد مفارقة الحياة والموت والوجود والفناء .

فالفجيعة بخلو المكان من ساكنية ليست فجيعة ذاتية خاصة بالشاعر إنما هي فجيعه عامة تستدعي من الشاعر أن يوقف أصحابه ليبكوا معه ويشاركوه هذه الفجيعه ، يقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[2]

---

(١) شاعرية المكان ، جريدي المنصوري الثبيتي ، ط ١ ، شريحة دار العلم للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م . ص ١ .

(٢) ديوان امرئ القيس ، تحقيق مصطفي عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م ، ط ١ ، ص ٢٠ .

فالقضية ليست أحجار وأثافي ومنازل مهدمة ولكنها أيام جميلة فرت وذكريات سعيدة انقضت .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشعراء الجاهلين أضفوا على الأماكن صفات الإنسان ، فنجدهم يطرحون عليها الأسئلة وينتظرون الإجابات ، وتتحول الأطلال إلى كائنات حية تتحدث عن الماضي وتخبر الشاعر بما كان من سرور وذكريات .

فللأطلال دلالات إنسانية عميقة نلمس بعضاً منها في قول ذي الرمة غيلان مثلاً :

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
واشكية حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه[1]

فإحساس الشاعر بتبدل الحياة وابتعاد الأحبة هو الدافع لمحادثة الأطلال والبكاء عندها ، يقول النابغة الذبياني :

وقفت بها القلوص على اكتئاب وذاك تفارط الشوق المعني
أسائلها وقد سفحت دموعي كان مفيضهن غروب شن[2]

(١) ديوان ذي الرمة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ ، ط ١ ، ٢٥ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ ، ط ٣ ، ص ٤٨.

ومن هنا نجد أن المقدمة الطلية جاءت لتلبي حاجة الشاعر الإبداعية وتأمله في تغير أحوال الحياة ، وهذا التغير من شأنه أن يثير كوامن الإبداع في نفس الشاعر فينثال الشعر على لسانه عذباً سائغاً .

ولو بحثنا عن أسباب الظاهرة الطللية لوجدنا أن الحنين للماضي هو دافعها ، فالشاعر متعلق بأرضه ومخلص لها ومحب لسكانها ، ومن الطبيعي أن تنعكس الظاهرة الطللية في نفسه وروحه المتأثرة أصلاً من الترحال الدائم الذي يخلف وراءه هذه الأطلال المندثرة ، والشاعر بعد وقوفه على الطلل وقد قدح في نفسه تذكر الفناء والموت يبث معاني الحياة في طيات شعره ، يقول زهير بن أبي سلمى :

وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفت الدار بعد التوهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم [1]

وقد أشار بعض النقاد إلى أن هذه المضامين التي تحملها المقدمة الطللية ابتداءً من المعاناة الروحية وانتهاء بالتجربة الإنسانية يمكن أن تتحول بموهبة الشاعر الفذة إلى مقدمة تسمح له بالولوج إلى رحاب قصيدته ، فما أن يختم هذه المقدمة حتى يبدأ بوصف الظعائن ورحلات الصيد ، أو يصف ناقته التي شاركته هذه التحولات ، ليصل بعدها إلى الغرض الرئيس من القصيدة .

---

(١) شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٦٢ .

ومن هنا رأينا أن الشعراء الجاهلين استفتحوا قصائدهم بهذه المقدمات الطللية المرتبطة بماضيهم وبيئتهم الصحراوية ، وحملت في طياتها همومهم وأفراحهم وأحزانهم وخوفهم من المستقبل ، فكانت القصيدة الجاهلية صورة صادقة عن حياة الإنسان العربي قبل الإسلام .

٤ – المكان في النقد العربي الحديث والمعاصر :

لم يحظ المكان في الإبداع الأدبي السردي منه والشعري على حد سواء بالمنزلة التي هو جدير بها في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة وبالأساس الشعرية منها و السيميائية وذلك على عكس الزمن الذي مثل موضوعاً للعديد من الدراسات النقدية ، خاصة تلك التي اهتمت بالرواية .

فقد ركزت الدراسات السردية في معظمها على بنية السرد ووظائف الشخصيات وزمن الخطاب ، مغفلة أو تكاد المكان الروائي ، مما حال دون تبلور نظرية نقدية في شأنه ، وذلك باستثناء جهد الناقد : غاستون باشلار) عندما قام في كتابه " جماليات المكان " بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح الرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المعلقة ـ أو في الأماكن المنفتحة الخفية أو الظاهرة ، المركزية أو الهامشية ، وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب والقارئ معاً " . [1]

---

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥ .

وقد عرف المكان من خلال علاقته بالزمان للعلاقة التكاملية القائمة بينهما يقول يوري لوتمان " إذا كان الزمان هو الخط الذي يسير عليه الأحداث فإن المكان يصاحبه ويحتويه " [1]

وبناءً على ما سبق ظلت معرفتنا بهوية المكان وما يقوم عليه من عناصر تكوينيه وما يتمتع به من خصائص في الأعمال الأدبية ، السردية منها والشعرية على حد سواء ضئيلة سواء أكان ذلك المكان واقعياً أو كان تخيلياً مجرد حلم أو رؤية.

وقد قام بعض المنظرين الألمان بالتمييز بين ضربين من المكان ، (أولهما : المكان المحدد الذي تضبطه الإشارات والاختبارات كالمقاسات والأعداد ، و أما الثاني فهو الفضاء الدلالي الذي تؤسسة الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية) . [2]

وكانت أولى المهام المطروحة أمام الدراسات الشعرية في النقد الغربي المعاصر وضع تعريف دقيق قدر الإمكان للفضاء عنصراً حكائياً ثم تحليل ما يتوفر عليه من دلالات واقعية رمزية وايدلوجية يستمدها من داخل السرد وما ينبني عليه من عناصر تكوينية .

فكان أن حددت الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد وبأنه " لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضاء لفظي بامتياز ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي عن كل الأماكن التي تدركها بالبصر أو السمع ، أنه فضاء

---

(١) مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ترجمه سيزا قاسم ، مجلة الف ، العدد ٦ السنة ١٩٨٦ ، ص ٨٣ .

(٢) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، سبق ذكره ، ص ٢٦ .

لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ، ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقة الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه . (١)

إن الفضاء الذي يدرسه الروائيون يتميز بكونه (ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها) . (٢)

وبذلك (يصبح المكان ضرورياً بالنسبة للسرد ، ويصبح هذا الأخير محتاجاً لكي ينمو ويتطور كعالم مغلق ومكثف بذاته إلى عناصر زمانية ومكانية) . (٣)

ونزعت الدراسات النقدية الحديثة إلى دراسة المكان في ضوء نظرية التقاطب أو الثنائيات النقدية ، والواقع أن مفهوم التقاطب ليس جديداً تماماً فنحن نصادفه في جذوره الأولى عند أرسطو في كتابة الفيزياء . حين يتحدث عن الأبعاد الكلاسيكية الثلاثة (الطول ، العرض ، الارتفاع) ويبرز التقاطبات التي يحددها جسم الإنسان الواقف (يمين / يسار ، أمام / خلف ، أعلى / أسفل) ، كما نجدها في " شعرية المكان " لباشلار حينما درس جدلية الداخل والخارج المتضمنة في المكان وعارض بين القبو والعلية وبين البيت واللابيت ، ولو تمان

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) نفسه ، ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

وحده هو الذي أقام نظرية متكاملة للتقاطبات المكانية في كتابه " بنية النص الفني " [1]

وينطلق لوتمان من فرضية أساسية يبني عليها تصوره في مماثلة التقاطبات بأن الفضاء هو " مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر والحالات والوظائف والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم عليها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة (كالامتداد والمسافة) ، بل أن لغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على الواقع " . [2]

فمفاهيم مثل الأعلى / الأسفل ، القريب / البعيد ، المتفتح / المتغلق ، المحدود / اللامحدود ، المنقطع / المتصل كلها تصبح أدوات لبناء النماذج الأدبية عامة والشعرية خاصة ، دون أن تظهر عليها أي صفة مكانية .

ولا يكتفي لوتمان بالعرض النظري لمفهوم التقاطب وإنما " عمد إلى نقله إلى المجال التطبيقي في تحليل شعر تيوتشيف من خلال ثنائية (الأعلى / الأسفل) فيربط الطرف الأول بالاتساع والطرف الثاني بالضيق ثم يدل بالأسفل على النزعة المادية ويدل بالأعلى على النزعة الروحية لينتهي بعد مجموعة من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

التقـابلات إلى أن (الأعلـى) هـو مجـال الحيـاة وأن(الأسـفل)هـو مجـال المـوت ". [1]

وسـيفيد الباحـث مـن بعـض تلـك التقاطبـات في رصـد أنـواع المكـان في الشـعر السـعودي دون محاولــة الإتيــان عليهــا جميعــاً نظــراً لعســر متابعــة تعــددها داخــل المدونــة الشعرية السعودية بسبب انشطار تلك التقاطبات وتناسلها اللانهائيين .

وممـا ركـز عليـه بعـض النقـاد في الفكـر الغربـي هـو إثبـات العلاقـة القائمـة الـتي تـربط مصـطلح المكـان بمصـطلح الفضـاء وإذا كـان الفضـاء لغـة يعـني : المكـان الواسـع مــن الأرض ، فإنــه في الاصــطلاح " الحيــز " الزمكــاني الــذي تتمظهــر فيــه الشخصـيات والأشـياء متلبسـة بالأحـداث تبعـاً لعوامـل عـدة تتصـل بالرؤيـا الفلسـفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب . [2]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) الفضاء الروائي في الغربة ، منيب البوريمي ، سلسلة دراسات تحليلية ، دار النشر المغربيـة ، ١٩٨٤ ، ص ٢١ .

الفصل الثاني

أشكال حضور المكان في الشعر السعودي

الفصل الثاني

أشكال حضور المكان في الشعر السعودي

لما كانت علاقة الإنسان بالمكان قوية منذ غابر الأزمنة ، فقد اتسمت علاقة الشاعر بالمكان بالقوة والتنوع وغنى الأبعاد وتنوعها ، ذلك أنها علاقة "ذات أبعاد متعددة تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي ، ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الواقعي ويسبح في المكان في عالمه الشعري فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية ويقيم لنفسه وجوداً فيه أو يعدل من صورة المكان الحقيقي ، كما يخترع المكان في الفن ويحتله بالوجود " . (١)

إن رصد الباحث لعديد من دواوين الشعر السعودي – والتي سيعتمدها في دراسة موضوع المكان في الشعر السعودي – سمح له بالوقوف عند الحضور المهم للمكان في هذا الشعر في أكثر من صورة ، وفي أكثر من مستوى جمالي ودلالي ، حيث يتعدد المكان ويتنوع في القصيدة السعودية ، ليصير أمكنة لكل منها خصائصه الفنية وأبعاده الدلالية المتعددة والمتنوعة هي الأخرى ، مما ينهض علامة دالة على أهمية المكان عند الشعراء السعوديين .

وهي الأهمية التي يستمدها من فاعليته في تجارب وجودهم ومغامرتهم في مختلف مراحل الحياة ، مما جعله يكون عنصراً تكوينياً مهماً من عناصر

---

(١) شاعرية المكان ، جريدي المنصوري ، سبق ذكره ، ص ١٠ .

تشكيلهم للقصيدة الشعرية إلى حد تحس الكثير من الدواوين كأنها دواوين مكان ، حيث يشغل المكان مجمل مساحة القول الشعري ، من مثل " لست وحيداً يا وطني " لبديعة كاشعري و " الوطن ولاء وانتماء " لأحمد سالم باعطب ، وغيرها من الدواوين الشعرية التي هيمن فيها حضور المكان موضوعاً للإبداع الشعري .

وسيعرض الباحث بالوصف والتحليل لأبرز الصور والأشكال التي حضر فيها المكان في الشعر السعودي ، وهي صور وأشكال يعكس تعددها وتنوعها أهمية حضور المكان في وجدان الشاعر السعودي ، مما انعكس على إبداعه الشعري الذي حفل بالمكان عنصراً تكوينياً أساسياً في البناء الفني للقصيدة .

١ – المكان / العنوان :

ورد المكان في تعدد صورة وتنوعها عنواناً في الشعر السعودي ، وهو على ضربين : عنوان ديوان ، وعنوان قصيدة .

أ – المكان عنوان ديوان :

تواتر حضور المكان كعنوان رئيس للكثير من الدواوين الشعرية السعودية ، مما ينهض علامة دالة على دوره قادحاً لقريحة الشاعر السعودي وملهما لقوله الشعري ومنتجاً لخصائصه الفنية والدلالية ، وهو ما تجلى على سبيل الذكر لا الحصر في الدواوين الشعرية التالية :

" لحن في أعماق البحر " لهيام عودة حماد [1] ، و " البحر يغرق " لآمنة بنت محمد آل علية [2]، وعلى شاطئ من دمائنا " و " لست وحيداً يا وطني " لبديعة كاشغري [3]، و " مواقيت الرمال " لمحمد الصفراني [4] ، و " مدينة بلا ظلال " لمها علي الجهني [5]، و الوطن ولاء وانتماء " لأحمد سالم باعطب [6] " ، و " عطر تهامي " لحمزة الشريف [7] ، وغيرها كثير من الدواوين الشعرية السعودية التي حضر فيها المكان عنصراً تكوينياً مهماً في عناوينها ، دالاً على وثيق العلاقة التي تجمع بين الشاعر السعودي والمكان في الوجود كما في القصيدة وفي الواقع كما في الخيال الشعري ، وفي الرؤية كما في الرؤيا ، حيث يتحول المكان في الإبداع الشعري إلى مكان حلمي نتيجة للمخيلة الشعرية إلي ملتقى علامات دالة على وجود الشاعر في تجارب الحياة ومساراتها ومصائرها وعلى نظرته للذات وموقفه من الآخر والعالم .

---

(١) لحن في أعماق البحر ، هيام عودة حماد ، نادي جدة الأدبي ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٧٠ هـ .

(٢) البحر يغرق ، آمنة بنت محمد آل علية ، نادي جازان الأدبي / ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

(٣) بديعة كاشغري :

على شاطئ من دمائنا ، القاهرة ، دار الأولي ، ٢٠٠٤ م .

لست وحيداً يا وطني ، بيروت ، دار الخيال ، ٢٠٠٩ م .

(٤) مواقيت الرمال ، محمد الصفراني ، الباحة ، نادي الباحة الأدبي ودار الانتشار العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١ م .

(٥) مدينة بلا ظلال ، مها على الجهني ، بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

(٦) الوطن ولاء وأنتماء ، أحمد سالم باعطب ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

(٧) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، منشورات نادي الباحة الأدبي ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .

ب – المكان عنوان قصيدة :

كثيرة هي القصائد الشعرية التي حضر المكان عنصراً تكوينياً في صيغة عناوينها ، وهي تفوق الحصر ، ومن ثم يعسر ضبطها ، ولا يغالي الباحث إن قال إن مجمل قصائد الشعراء السعوديين يحضر فيها المكان في أكثر من صورة ، حاملاً لأكثر من بعد ودلالة جمالية وذاتية واجتماعية وسياسية وحضارية وتاريخية ، يحضر هذا في الديوان الواحد في أكثر من قصيدة ، مما يؤكد سلطة المكان المهيمنة على الشعراء السعوديين وسطوته على إبداعهم الشعري ، وهو ما يمثل له بهذه النماذج من عناوين القصائد :

" أيا دار عبلة عمت صباحاً " لمحمد الثبيتي[1] " و " شذى الرياض " و " أم القرى " لمحمد السنوسي [2]، و " يا نيل " لغازي القصيبي [3]، و " بوح الأمكنة " لمحمد بن عايض القرني [4]، و " حسناء بغداد " لعبد الرحمن معيض سابي الغامدي [5]، و " الوطن في عيوني " لحمزة الشريف [6]، و " أنة القدس

---

(١) الأعمال الكاملة ، محمد الثبيتي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٧٧ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، ص ٨٦ .

(٣) البراعم ، غازي القصيبي ، دار القمرين للنشر والإعلام ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، ص ١٦٥ .

(٤) حين تسير القافلة ، محمد بن عايض القرني ، نادي الطائف الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ص ١٠٥.

(٥) أوجاع أنثى ، عبد الرحمن معيض الغامدي ، نادي الباحة ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ص ٥٥.

(٦) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٥٦ .

الأسيرة " شريفة أحمد الزهراني[1] ، " وهوى الباحة " لحسن محمد الزهراني[2] ، و " أبها ثورة إعجاب " لنجاة الماجد [3]، وياجدة الحب " لشتيوي الغيثي[4] ، وغيرها من عناوين القصائد التي تنهج ذات النهج في توظيف المكان ولكن دون أن تثبته في صيغ عناوينها ، حيث نجده مثبوتاً في مظانها الشعرية .

٣ – المكان / المدينة

إن المدينة كموضوع في الشعر العربي الحديث والمعاصر – ومنه الشعر السعودي – فكرة شديدة المعاصرة ترتبط بالقرن العشرين ومنجزاته ، حيث ينطلق الشعر المعاصر من مفهوم حضاري في تصور جديد للكون والمجتمع والإنسان ، بفعل من الثورة العالمية في مستوياتها الاجتماعية والفكرية والتكنولوجية . [5]

وقد نشأ موضوع المدينة في الغرب قبل أن يتحول إلى البيئة العربية ، عامة وإلى أدبها ، وبالخصوص الشعري منه ، مما يثير مسألة أصالة الموضوع في شعرنا

---

(١) الأماني الذابلة ، شريفة أحمد الزهراني ، النادي الأدبي بالباحة ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ ، ص ٥٩ .

(٢) مرافئ الوجدان ، حسن محمد الزهراني ، نادي الباحة الأدبي ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٧٧ .

(٣) الجرح إذا تنفس ، نجاة الماجد ، نادي الجوف الأدبي ، ط١ ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م ، ص ٤٤ .

(٤) لا ظل يتبعني ، شيتوي الغيثي ، طوى للنشر والإعلام ، ط١ ، ٢٠١١ م ، ص ١٠٠ .

(٥) المدينة في الشعر العربي ، مختار علي أبو غالي ، كتاب عالم المعرفة ، العدد ١٩٦ ، ذو القعدة ١٤١٥ هـ أبريل ، نيسان ١٩٩٠ م ، ص ١٠ .

وقد تعرض للمدينة في الشعر الحديث د . إحسان عباسي في كتابه : اتجاهات الشعر المعاصر ط . سلسله عالم المعرفة ، الكويت .

العربي الحديث ، ومدي إضافة الشعراء العرب المحدثين لما أنجز في الغرب وفي الآداب العالمية عموماً في موضوع المدينة ، كل ذلك بمنأى عن كل أنواع المفاضلة بين المدينتين الغربية والعربية ، خاصة في ضوء عسر تحديد مفهوم المدينة ، والتي تعددت في شأنها التعريفات دون أن تتوصل إلى تعريف موحد لها ، تتبلور فيه أهم خصائصها وسماتها المميزة ، مما جعل المدينة تتحدى التعريف الجامع المانع والمعادلة الموجزة فالمدينة المطلقة المثالية هي افتراض علمي ، فليست هناك مدينة مطلقة أو قرية مطلقة ، ومن خلال التعريفات التي قدمها العلماء من تعريف إحصائي أو إداري تاريخي أو وظيفي جميعها يمكن تطبيقها على المدينة العربية ، وإن ظل هناك تخلف في المستوى الحضاري بين المدينتين الغربية والعربية . (١)

وتنوعت صور تشكلها فيه مما أسهم في إغناء دلالاتها الجمالية والذاتية والاجتماعية إلى ثلاثة أنواع ، يوردها الباحث حسب أهميتها ، التي تعكسها درجة تواترها في التجارب الشعرية السعودية ، وهي كالآتي :

أ) المكان : المدينة السعودية :

١ – المدينة المقدسة :

تستمد المدينة المقدسة والتي تجسدها كل من (أم القرى) والمدينة المنورة (طيبة) أهمية حضورها في الشعر السعودي الحديث والمعاصر من منزلتها

---

(١) المدينة في الشعر العربي المعاصر ، مختار علي أبو غالي ، سبق ذكره ، ص ١٢ .

الدينيـة الضـاربة في التـاريخ العربـي الإسـلامي ، ودورهـا في نشـر الـدين الإسـلامي وإشـعاعه ماضـياً وحاضـراً ، وتعميقـه في نفـوس المسـلمين مـن خـلال تـأديتهم لمناسـك الحج والعمرة .

أ – مكة / أم القرى :

مكـة هـي مهـبط الـوحي وأرض الرسـالات ، كمـا يصـورها الشـاعر عبـد الملـك بـن عواض الخديدي ، في ديوانه : " نفحات في نصرة الحق " حيث يقول :

عظيمـة أنـت يـا أرض الرسـالات ... يـا مهـبط الـوحي في خـتم النبـوات
لله مـن دعـوة جـاد الخليـل بهـا ... ودعـوة الخـير جـاءت بالمسـرات
في أرضـك الطهـر عنـوان ومفخـرة ... يزهـو بـك الشـعر في أبهـى العبـارات
نـادى الـذبيح بهـا ربـا فأكرمـه ... ذريـة فرعهـا فـوق المجـرات
أم القـرى إن هـذا القلـب في شـغف ... بـين المقـام وركـن البيـت مرضـاتي
تعـددت في صـنوف العشـق أفئـدة ... وعشـق مكـة في تركيـب ذراتـي
ومـن حـراء يشـع الحـق منطقهـا ... يؤسـس العـدل في كـل المسـارات[1]

فقـد احتضـنت مكـة الرسـالة المحمديـة آخـر الرسـالات السـماوية ، الـتي دعـت إلى ديـن الإسـلام الـذي منـه انطلـق وأخـذ في الانتشـار عـبر الـدعوة والغـزوات والفتوحـات لـبلاد الـروم والفـرس ، وغيرهـا مـن بـلاد العـالم كمـا حـوت الكعبـة الشـريفة ، الـتي

(١) نفحات في نصرة الحق عبد الملك بن عواض الخديدي ، جدة ، ١٤٢٨ ، ص ٣٠ – ٣١ .

يؤمها المسلمون ويطوفون بها ، وشهدت أرضها حادثة سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل ، كما حباها الله بئر زمزم الذي لا ينضب وفيه رواء للمسلمين وشفاء .

ويعبر عن ذات دلالات أم القرى المدينة المقدسة ، الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدته . " موطن الهدى " من ديوانه " النبع الظامي " في قوله :

موطن الهدي يا ملاذ الرشاد ... ومنار الشموخ والاعتداد
مهبط الوحي والنبوة والحق ... ومهد الدعاة والرواد
والكتاب الكريم أنزله الله ... ضياء ومنهجاً للعباد
ولد النور يوم مولد خير ال ... خلق وانداح في الربى والمهاد
النبي العظيم يصدع بالأمر ... ويلقى الأذى من الحساد
ويطوف الأمصار ، في الناس يدعو ... دعوة الدين في جميع البلاد
باركته الملائكة الغر و الرو ... ح ودانت لله جميع الأعادي
مكة النور حينما انتشر النو ... ر وعاد البشير بالأمجاد
واستقام الأمان وارتفع الصو ... ت قوياً وهادراً في البوادي
فإذا نحن باليقين وجدنا ... عزة الحق في بلوغ المراد
وحكمنا الأمصار في سالف العهـ ... ـد ببأس الآباء والأجداد[1]

ثم يصور الشاعر ما آلت إليه أحوال العرب والمسلمين في الأزمان الحديثة من ضعف وفرقة ، بسبب تخليهم عن تعاليم كتابهم وسنة نبيهم ومنهج السلف

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله شراحيل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، ديوان النبع الظامي " ص ١٨٦ – ١٨٧ .

الصالح من الصحابة والخلفاء الراشدين ومن تبعهم من العلماء و الفقهاء وشيوخ الدين ، داعياً إلى عودتهم إلى العمل بمنهاج دينهم وسنة نبيهم الشريفة ، ونبذ فرقتهم بسبب خلافاتهم وصراعاتهم والانصراف عن غوايات الدنيا المادية .

وهي ذات المعاني التي يعيد صياغتها و التأكيد عليها في قصيدته : " نور من البيت " من ذات ديوانه " النبع الظامي " لكن ذكر مكة يتخلل ذلك ، فهي قبلة القصاد ورسولها – عليه الصلاة والسلام – قائد الأمة ، يقول الشاعر :

نور من البيت عز البيت والنور ... يزيل ليل الأسى فالليل مدحور
يحدو خطى الجمع للإيمان يدفعها ... وعاشق النور محمود ومسرور
هذا الضياء نبي الله جاء به ... مصباحه الحق ، لا زيف ولا زور
قد أوضح الرشد فانداحت بشائره ... ورفرف الدين وهو الحصن والسور
من ينصر الله فالرحمن ينصره ... ومن يحد عن هداه فهو مثبور
هذي ذري مكة الإسلام شاخصة ... تبارك الخطو إن الخطو مأجور
فامضوا إلى كعبة الرحمن واتحدوا ... وخلف ركب النبي المصطفى سيروا
كفى العروبة والآلام توجعها ... أن سادها الآن تشتيت وتغرير
قد طال ليل الأسى ، طالت دياجره ... وعندنا من كتاب الله تبشير
عودوا إليه ففيه كل معتصم ... ينجي ، وفيه لكم هدي وتنوير[1]

وتتحول أم القرى وقد فارقها الشاعر لطلب العلم موضوع حنين يستعيد فيه ذكريات الصبا وذلك في قصيدة " حنين " ، من ديوانه " معذبتي " ، يقول :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

أم القـــرى يـــا حلمنـــا المـــأمولا إنـــا قضـــينا في ربوعـــك جـــيلا

إنـــا عشـــقنا فيـــك أيـــام الصـــبا فلكـــم لهونـــا في الـــدروب طـــويلا

عانقتنـــا عنـــد الرحيـــل محبـــة وأطلـــت في توديعنـــا التقبـــيلا

كـــان البعـــاد عـــن الـــديار تطلعـــا للعلـــم لا نرجـــو ســـواك بـــديلا[1]

فالوشـائج قويـة بـين أم القـرى / المدينـة المقدسـة والشـاعر ، حيـث تمنحـه سـكينة الـنفس وراحـة البـال عنـدما يكـون في ربوعهـا ، لـذلك لا تضـاهيها عنـده أي مدينـة أخرى ، أيا كان جمالها وقوة إغرائها وجاذبيتها ، يقول في القصيدة ذاتها :

هيهـــات أن القـــى كمثلـــك منـــزلاَ في العـــالمين ومـــا أردت بـــديلا

فلأنـــت ارض الله يعرفهـــا الـــذي قـــرأ الكتـــاب وأدرك التنـــزيلا

بلـــد الـــنبي ومهـــد أكـــرم أمـــة ولقـــد سمـــوت منـــاهلاً وأصـــولا[2]

ويحتفـي الشـاعر محمـد بـن علـي السنوسـي في قصـيدته : " أم القـرى " ، مـن ديوانـه : " قلائـد " ، بتـاريخ هـذه المدينـة المقدسـة وأمجادهـا ومنزلتهـا الأثـيرة في نفـوس المسلمين وهم يقصدونها للحج والعمرة يقول :

ارض التجـــرد والتعبـــد والهـــدى والغـيض والنفحـات في دنيـا الـورى

هتفـت بأعمـاقي الهواتـف والصـدى عـذب مـن الأنغـام قدسـي السـرى

(الله أكـــبر) موجـــة مـــن زاخـــر عـــبرت غواربهـــا المحـــيط الأكـــبرا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

وثــرى توشــح (عبقــريٌّ) أديمــه (بــالوحي) منطلــق الشــعاع معطــرا
تتضــرع الــدنيا لــديك ويرتمــي في لا بتيــك (جبينهــا) متعفــرا
وإليــك تتجــه القلــوب فــوجهي قلـب (العروبـة) نحـو توثيـق العـرى[1]

٣ – المدينة المنورة / طيبة :

تحضـر المدينـة النبويـة / مدينـة طيبـة إلى جانـب أم القـرى لمـا حباهـا الله مـن القداسـة ، للصـلاة في مسـجد الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم ، فنجـد الشـاعر عبـد الملـك بـن عـواض الخديـدي يحتفـي بهـا في قصـيدته : " طيبـة الطيبـة " مـن ديوانـه نفحـات في نصـرة الحـق " فهـي مدينـة تجسـم عراقـة الـدعوة الإسـلامية ، زمـن الفتوحـات ، ومصـدر انتشـار الإسـلام لاحقـاً ، وموضـع قـبر الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وزوجاته وصحبه ، يقول :

مدينــة المصــطفى الهــادي منــورة أطـرى بهـا الـوحي في مسـتنزل السـور
تطيـب فيهـا قلـوب النـاس هانئـة وترتضـي العـيش في حـل مـن الكـدر
مازارهــا قــط إنســان وحــل بهــا إلا تمنــى إليهــا عــودة النظــر
تعلــق المجــد في أركــان قبتهــا وحــل أهــلاً علــى الآطــام والهجــر[2]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد بن علي السنوسي ، منشورات نادي جـازان الأدبـي ، ط٢ ، ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ ، ص ٩٠ –٩١ من ديوان قلائد .

(٢) نفحات في نصرة الحق ، عبد الملك بن عواض الخديدي ، ص ٨ .

ويتغنى الشاعر محمد بن علي السنوسي بطيبة ، في قصيدة تحمل اسمها من ديوانه : " الأغاريد " ، فيعدد مآثرها التاريخية والدينية ، التي خصها الله بها ، حيث كانت منزل الوحي والملائكة والأنصار ومركز الفتوحات الإسلامية ، وملاذ المهاجرين ومقصد المؤمنين في الحج والعمرة ، يقول :

هذه طيبة فحي الرسولا ... بوركت منزلاً وطابت نزيلا
هذه طيبة التي خصها الله ... بما خصها به تفضيلا
منزل الوحي والملائك والأنصار ... والطيبين جيلا فجيلا
وملاذ المهاجرين إلى الله ... شباباً وصبية وكهولا
إن في عرفها أريجاً سماوياً ... ونوراً ملائكياً جليلا
أنت في روضة من القبر والمنـ ... ـر وضاءة تنير العقولا
أشرقت بالهدى منيراً وبالخيـ ... ـر غزيراً وبالندى سلسبيلا[1]

ويعبر الشاعر أحمد المنعي عن حنينه إلى طيبة في قصيدته " عائد إلى طيبة " ، من ديوانه " الحب كله " ، حيث يصور مآثرها ، أرضاً وناساً ، وعراقة تاريخها ، قوة وشائجه بها فكراً ووجداناً ، يقول :

يا من براه الله من .....

طيب العقيق وطين طيبة

الله ما خلق الأسى لك أنت

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، سبق ذكره ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ ، من ديوان " الأغاريد "

بل خلق المحبة

يا ابن الذرى ... في كل روح ...

ثم تحنان لتربة

والأرض أم : كلما عق ابنها ...

تغفر ذنبه

انصت لعطر ترابها ...

ينبئك عن طفل .. ولعبة

وارجع لأرضك

ألق عن كتفيك ... أسفاراً وغربة ... [1]

وتحضر إلى جانب هاتين المدينتين المقدستين : أم القرى وطيبه ، بعض المعالم التاريخية البارزة الأخرى ، والتي تقترن بأحداث فارقة في حياة المسلمين من مثل الأخدود ، الذي يصوره الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدة : " جبل وأخدود " من ديوانه : " النبع الظامي " ، في قوله :

منابر النبل منك الطهر ينهمل وأنت للخلق ، كل الخلق مقتبل

---

(١) الحب كله ، أحمد المنعي ، بيروت ، الانتشار العربي ، النادي الأدبي بمنطقة الباحه ، ط ١ ، ٢٠١١ ، ص ٤٤ – ٤٥ .

لا غـير الله مسـرى النـور يسـطع في ... مدينـة مـن ضـياء الحـق تكتحـل
مـا ضـر حبـك أن عقتـه طائفـة ... للشـر لا للنهـى والنبـل تمتثـل
عصـابة في يـد الشـيطان إمرتهـا ... تبقـى نهايتهـا حيـث انتهـى هبـل
غـوت عـن الحـق حتـى لاثبـات لهـا ... وكيـف يثبـت مـن للزيـف ينتحـل
مريضـة وهـي تكسـو مـن ضـغينتها ... كـل الشـرور الـتي في الـنفس تحتمـل
يجرحـون بأيـدهم قلـوبهم ... كـأن آمـالهم مـن خلفهـم طلـل
ويزعمـون بـأن الحـق دافعهـم ... ومـارعوا حرمـة للحـق أو عـدلوا
يـا حـاملين مخـازي العـار آثمـة ... إن المسـير إلى غـير الهـدى خطـل
قـد يخـدعون نفوسـاً مثـل أنفسـهم ... فـالقول مـتهم ، والإفـك مفتعـل[1]

ويخـص الشـاعر علـي بـن عبـد الله الزبيـدي جبـل أحـد ، بقصـيدة " وقفـه أمـام جبـل أحـد " مـن ديوانـه " أطـلال المجـد " فيمجـد ماضـيه التـاريخي البطـولي ومـا تحقـق للمسلمين في الواقعـة الـتي شـهدها مـن نصـر علـى قـريش ، ثـم يخـتم قصـيدته بـدعوة المسـلمين إلى العمـل بتعـاليم ديـنهم وسـنة نبـيهم والسـلف الصـالح مـن الصـحابة والتابعين ، حتى يستعيدوا مجد أسلافهم ، يقول :

أحـد البطولـة كيـف عاينـت المـدى ... أمـد بربـك مـا يـزال يزيـد
(الله أكـبر) حـين زمجـر رجعهـا ... لم يبـق للشـيطان فيـك مشـيد
يـا صـوت (حمـزة) في ربـاه أعـد لنـا ... لحـن الخلـود فلـيس ثـم معيـد

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ص ٣٠٦ – ٣٠٧ من ديوان " النبع الظامي " .

هـا أنـت (مصـعب) قـد وردت رياضـها نعـــم المـــآل نعيمهـــا المـــدود
سـل قـوس (سـعد) أيـن منـك قسـينا مـا بيننـا (سـعد) فكيـف نصـيد[1]

فصـورة المدينـة المقدسـة في الشـعر السـعودي الحـديث والمعاصـر تكـاد تكـون متماثلـة العناصـر ، ومـن ثـم مكـررة عنـد الشـعراء الـذين يركـزون علـى المـآثر التاريخيـة لكـل مـن أم القـرى وطيبـة ، وعلـى منزلتهـا في نفـوس المسـلمين ، لمـا اضـطلعتا بـه مـن دور في الـدعوة الإسـلامية ونشـرها ، وعلـى الوشـائج القويـة الـتي تـربط هـؤلاء الشـعراء بهمـا ممـا يعلـل غلبـة الخطـاب الاحتفـالي والـذاتي علـى رسـم معـالم صـورة كليتهمـا ، والتي تكاد تكون واحدة مع بعض سمات الاختلاف في التشكيل الشعري .

٣ – المدينة السياحية :

تنـاول الكـثير مـن الشـعراء السـعوديين بالوصـف أبـرز المـدن السـياحية السـعودية وهـي الـتي يقصـدها السـعوديون للترفيـه عـن الـنفس والاسـتجمام ، لمـا تتميـز بـه مـن خصـائص طبيعيـة ، لا تتـوفر في غيرهـا مـن المـدن السـعودية الأخـرى . وهـي مـدن أبهـا والباحـة والطـائف في الغالـب ، والـتي يمثـل جمـال طبيعتهـا واعتـدال مناخهـا الجامع المشترك بينهما والذي يجتذب السعوديين من داخل المملكة إليها .

(١) أطلال المجد ، علي بن عبد الله الزبيدي ، ص ٢٤ – ٢٥ .

وقد تواتر التغني بجمال هذه المدن السياحية في الكثير من القصائد الشعرية السعودية ومن ثم اغتنت صور كل منها جمالياً ودلالياً بفضل تنوع منظورات الشعراء السعوديين لكل منها ، وآليات تشكيلهم الشعري لخصائصها .

١ – مدينة أبها :

في قصيدة " تحية إلي أبها " ، يعمد الشاعر محمد بن علي السنوسي ، إلى التغني بمظاهر جمال طبيعتها ، أرضاً وسماء ، نهار وليلاً ، عطراً وألواناً مشخصاً إياها تشخيصاً أدبياً بتشبيهها بالمرأة الجميلة الفاتنة والمعذبة لعشاقها بفعل عذوبتها يقول :

و (أبهاء) من وطني درة	يفوق المدى قدرها والحساب
ترى الشمس في جوها لوحة	وتحسبها صورة في كتاب
وتبدو الكواكب في أفقها	على قاب قوسين من كل باب
تبرج فيها جمال السما	ء وألقى غلائله والنقاب
وباحت بأسرارها الكائنات	فشف السناو تجلى اللباب
كأنك فيها على ربوة	من النجم أو رفرف من سحاب[1]

أما الشاعر تركي العصيمي فيخص مدينة أبها الفاتنة بجمال طبيعتها بقصيدته " قلب في أبها " من ديوانه الذي يحمل ذات العنوان ، مما ينهض مؤشراً دالاً على قوة وشائج الشاعر بهذه المدينة ، وما تشغله من منزلة أثيرة في نفسه .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد على السنوسي ص ٥٢٦ – ٥٢٧ من ديوان " الأزاهير "

وهو يشخصها تشخيصاً أدبياً حيث يشبهها بالحسناء الفائقة الجمال والفاتنة لزوارها ، الذين سرعان ما يعلقون بها ويعشقونها ليكابدوا معاناة الفراق بعد مغادرتها ، يقول :

وقفت وقد نام الخلائق رانياً ... إلى الأفق الداجي بطرف مسهد
ووليت قلبي شطر أبها وأهلها ... ووليت شطر البيت وجهي ومسجدي
وإني لأهواها لحبي لأهلها ... فصارت ترى عيني ثراها كمسجد
أراها كروض حين تبكي سماؤها ... على شامخات جللت بالزمرد
ألا إن أبها منبع السحر والهوى ... فغني ورائي يا قلوب ورددي
عليك سلام الله أبها فإنني ... أراها تفوق الوصف إن لم تزود
متى عودتي نحو الجمال وأرضه ... فما دمت ناء عنهما غير مسعد[1]

وذات الصورة الأدبية تقريباً يعيد تشكيلها الشاعر إبراهيم مفتاح متغنياً بجمال أبها الحسناء الفاتنة ، وما ولدته في نفسه من عشق لم يستطيع صد غواياته ، يقول في قصيدة ، " أبها داخل الأسئلة " من ديوانه " رائحة التراب " .

ها أنا جئتك يا أبها فهل ... تعرفين الآن من كنت أنا
أنا يا أبها اشتعال قادم ... من خلال الموج محمر الضنا
من هياج البحر في روحي دم ... أخضر النبض فقاعي السنا

---

(١) قلب في أبها ، تركي العصيمي ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

في شـــفاهي موجـــة عاشـــقة ... وعلـــى الشـــطآن بحـــري دنـــدنا
كلمـــا جئتـــك يـــا أبهـــا الـــرؤى ... أنبـــت الحســـن بعـــيني أعينـــا
ونمـــت في داخلـــي أســـئلة ... لم أقلـــها في حـــديثي علنـــا
فســـؤال الحـــب نجـــوى موعـــد ... تلتقـــي الأعـــين فيـــه بيننـــا
هـــذه كفـــي فمـــدي لـــي يـــداً ... واحضـــنيني كلمـــا البعـــد دنـــا[1]

وتعـبر الشـاعرة نجـاة الماجـد عـن ذات الإعجـاب بجمـال مدينـة أبهـا الطبيعـي في قصـيدتها " (أبهـا) ثـورة إعجـاب " ، مـن ديوانهـا : " الجـرح إذا تـنفس " حيـث تصـور عشـقها لهـا ، وتسـتعير لهـا صـورة الحسـناء الفاتنـة ، والـتي لا يقـاوم جمالها الساحر ، تقول :

يـا عـاذلي كـف عـذلا فـالهوى قـدر ... والعـين تطـرق قبـل العـين أبوابـا
أبهـا البهيـة زان الـورد جبهتهـا ... وترتـدي مـن بـديع الحسـن جلبابـا
تاهـت خيـول عيـوني عنـد رؤيتهـا ... فقمـت أغـرس أوتـادا وأطنابـا
حسـناء خضـراء بـين الـدوح منزلهـا ... حنـت إليهـا القـوافي والشـذا ذابـا
وذاع في كـل شـطر عطـر زهرتهـا ... عطـر ينـاجي مـع الوجـدان ألبابـا
أبهـا العسـيرية الفيحـاء كـم نظمـت ... فيهـا القصـائد إسـهابا وإطنابـا
أبهـا نثرتـك في عـيني ورود هـوى ... والعـين مـا العـين إن لم تبـد إعجابـا[2]

---

(١) رائحة التراب ، إبراهيم مفتاح ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) الجرح إذا تنفس ، نجاه الماجد ، نادي الجوف الأدبي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ، ص٤٤ .

ويتغنى الشاعر بهاء بن حسين عزى بجمال مدينة أبها وسحر طبيعتها الغناء التي تفنن العيون وتأسر القلوب ، في قصيدة " سرية الهوى إلى أبها " من ديوانه " ذو العصف والريحان " ، يقول كاشفاً عن ولهه بهذه المدينة الفاتنة الحسناء وعن شوقه المتجدد لها مستعيداً جوانب من ذكرياته بها :

إن شفك الوجد فانهل من لمى أبها ... فمن لماها الشفا للقبلة الولهى
شماء تشتاق قربا في مرابعها ... ذات البهاء المباهي والذرى الأبهى
فيها أسود دهاة في مآسدها ... دلت عليها الظبا في نهجها معها
فيها لكل حبيب روضة حفلت ... بكل زاه على قد الصبا زهى
نادت فلبيت والأشواق تسبقني ... كالنحل يصدى فيلفي الروضة الأزهى
مفاتن فيك أبها كيف أسردها ... وذا عذابي مع الزهر الذي زهى
فياظما الشوق قد جئنا مرابعها ... فلتبق معنا لرضب منه لا ننهى
وانصت لهمس المناجي من براعمها ... أزهى فشقق من أكمامها البلها
ما العب إلا الشفا ، فاقدم ، تقول لنا : ... تلك البراعيم ، واهنأ : أنت في أبها[1]

٣ – مدينة الباحة :

حظيت مدينة الباحة شأن نظيرتها أبها باهتمام الشعراء السعوديين ، حيث تعددت قصائدهم المتغنية بجمال طبيعتها واعتدال مناخها وسحر معالمها ، إذ تعبق بروائح التاريخ الضاربة في العراقة والأصالة . وتشترك القصائد التي

---

(١) ذو العصف والريحان ، بهاء حسين عزي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، ص ١٩٥–١٩٦ .

اتخـذت منهـا موضـوعاً في تصـوير وشـائج أصـحابها القويـة ، وعشـقهم الـذى لا حـدود لـه وقـد اسـتعاروا لهـا صـورة المـرأة الحسـناء ، الـتي لا يمكـن لرائيهـا إلا أن ينجذب إليها ويعشقها .

وقـد عـبر عـن هـذه العلاقـة العشـقية الشـاعر حسـن محمـد الزهرانـي ، في قصـيدته " هـوى الباحـة " تلـك المدينـة الـتي يلتقـي فيهـا الجمـال والسـحر والخيـال فكانـت " عروس الجنوب " و " فاتنة القلوب " ، يقول :

تـنفس الصـبح وازدانـت نضـارته ... وبـث في طرقـات الـروض إصـباحه
والشـمس قـد نشـرت أبهـى اشـعتها ... فأصـبحت في جـبين الأفـق لواحـة
ترنـو إلى الظـل والإبـداع يصـحبها ... كأنهـا سـكبت مـن حسـنها واحـة
والطـير تغـدو إلى أعلـى الجبـال وكـم ... ظلـت علـى ورق الأغصـان صـداحة
تشـدو لحسـن ضـباب كـم يـداعبها ... فصـار بالشـدو والأنغـام في راحـة
حتـى النسـيم جـرى بـالعطر مبتهجـاً ... والـورد والشـيح والأزهـار فواحـة
حسـن تسـطر في أنحائهـا وغـدت ... كـل النفـوس لمـرأى الحسـن مرتاحـة
فكـل شـعري لهـا بالحـب أبعثـه ... لأن شـعري ينـادي " في هـوى الباحـة " [1]

ويرسـم الشـاعر حمـزة الشـريف معـالم جمـال هـذه المدينـة الطبيعيـة و المناخيـة ، حيـث تمثـل مصـدر راحـة بـال ونفـس لزائرهـا ، في قصـيدته : " باحـة الأحبـاب " ، من ديوانه " عطر تهامي " ، حيث يقول معبراً عن شوقه المتجدد لها :

---

(١) مرافئ الوجدان ، حسن بن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ٨٧ .

إلى باحـــة الأحبـــاب طـــرفي مشـــوق ... إلى غابـــــة والمـــــاء فيهـــــا يصـــــفق
وفيهـــا الجبـــال الشـــم ينـــداح عطرهـــا ... فتلثمـــــه الأشـــــجار حينـــــا فتـــــورق
وفي غابهـــا غنـــى الأصـــيل قصـــائداً ... مخلـــــدة في كـــــل فيحـــــاء تنطـــــق
فياباحـــة الأحبـــاب هـــذي شـــواطيء ... تحـــــن إلى لقيـــــاك والشـــــوق يســـــبق
ويـــا باحـــة المصـــطاف يـــا دار عشـــقنا ... ربيعـــك ورد مـــورق وهـــو معـــرق[1]

ويعمـد الشـاعر أحمـد سـالم باعطـب في قصـيدته : " الباحـة والبحـر " ، مـن ديوانـه : " الـوطن ولاء وانتمـاء " ، إلى الاحتفـاء بجمـال الباحـة الطبيعـي الـتي يشـبهها بعـــروس الجنـــوب وإلى تمجيـــد أخـــلاق أهلـــها ، فكـــان ذاك العاشـــق لهـــا المتـــيم بسحرها ، يقول :

إلى الروضـــة العـــذراء شـــد رحالـــه ... فـــؤاد تبنـــاه الهـــوى واســـتماله
إلى الباحـــة الحســـناء تـــوقظ مـــن غفـــا ... وقـــد نســـيت عـــيني الكـــرى واكتمالـــه
ففـي كـل واد ينبـت العشـب باسمـا ... تناجيـــــه زخـــــات تطمـــــئن بالـــــه
وتســـحب أذيـــال النســـيم إذا ســـرى ... ضـــروب مـــن الشـــالات تـــروى جمالـــه
أتـــى يقطـــف الريحـــان مـــن ســـهل غـــامر ... يحيـــــي بهـــــا زهـــــران حبـــــاً وآلـــــه
كـــــرام إذا زار الغريـــــب ديـــــارهم ... تقـــدمهم شـــيخ الحمـــى وســـقى لـــه
فيـــا قلعـــة تغـــزو بطولاتهـــا الـــذرا ... لياليـــك ترعـــى المهرجـــان احتفالـــه
ويـــا واحـــة الصـــادي ويـــا باحـــة المنـــى ... ســـلمت فقـــد أعطيـــت كُـــلاً نوالـــه

(١) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

بحـــار المنـــى ملـــح أجـــاج وعلقـــم وبحـــرك عـــذب مـــا أحيلـــى زلالـــه
تغنـــت بكلتـــا راحتيـــه مكـــارم وأثـــني عليـــه المجـــد حـــين صـــفى لـــه[1]

وتخـص الشـاعرة نجـاة الماجـد مدينـة الباحـة بقصـيدة : (الباحـة أنثـى السـحاب) ، في ديوانهـا " الجـرح إذا تـنفس " ، حيـث عمـدت إلى الـتغني بمظـاهر جمالهـا الطبيعـي ، مثلمـا يتجلـى في غابـة رغـدان ، وفي جبـال السـروات ، وفي شـلالاتها وغـدرانها ، وقـد شخصـتها أدبيـاً بـأن اسـتعارت لهـا صـورة الأنثـى ، تحديـداً أنثـى السـحاب " ، كاشـفة عـن عشـقها لهـا ، أرضـاً وناسـاً و أشـادت بأصـيل قـيمهم الأخلاقية والسلوكية ، إذ هم قوم جود ، تقول :

أشـجيت يـا ذات الجمـال كيـاني وســكنت في خلــدي وفي وجــداني
تيمـــتني بهـــواك واســـتعمرتني والغيـث مـن شـفتيك كـم أحيـاني
يـا روضـة فـوق الجبـال عشـقتها وجمالهـا الخـلاب كـم أضـناني
سـاقتني الأشـواق نحـو ربوعهـا وتسـهدت مـن سـحرها أجفـاني
وهنـاك في غـدران طـاب لقاؤنـا في غابـــة مبســـوطة الأركـــان
والفـل والكـادي أنـاخ بأرضـها فاســـتقبلته شـــقائق النعمـــان
أنثـى السـحاب إذا نواهـا زائـر نحـــرت مـــزون الوابـــل الهتـــان
والنحـل قـدم للضـيوف عصـيره شـهداً يفـوق الشـهد مـن دوعـان[2]
وإذا سـألت عـن الكـرام وجـدتهم مـن نسـل غامـد أو بـني زهـران

---

(١) ديوان ولاء وانتماء ، أحمد سالم باعطب ، سبق ذكره ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .

(٢) دوعان : يريد (دوعن) بلدة باليمن ، تشتهر بإنتاج العسل الجيد .

قــوم بعطــر الجــود فــاح أريجهــم في باحـــــة موضـــــونة بجمـــــان
تلــك الخميلــة في الجنــوب عشــقتها ولهـــا شـــدوت بأعـــذب الألحـــان[1]

٣ – مدينـة الطائف :

اتخـذ عـدد مـن الشـعراء السـعوديين مـن مدينـة الطـائف موضـوعاً شـعرياً لعـدد مـن قصـائدهم ، وذلـك لمـا تتميـز بـه شـأن مـدينتي أبهـا والباحـة مـن جمـال طبيعـة واعتدال مناخ ، مما جعلها تكون قبلة الزوار يقصدونها للراحة والاستجمام .

فقـد تغـني الشـاعر حسـن محمـد حسـن الزهرانـي بهـذه المدينـة في قصـيدته ، " طـائف الأحـلام " مـن ديوانـه : " صـدى الأشـجان " ، حيـث أشـاد بماضـيها " قلعـة المجـد " ، وبحاضـرها " علامـة ازدهـار وعمـران " ومقصـد السـياح ، وبمستقبلها الواعد ، مدينة الحلم والشفاء والفرح .

يقول في إيقاع عشقي لهذه المدينة الساحرة :

يـــا بهجـــة المصـــطاف والزائـــر وروعـــة الماضـــي مـــع الحاضـــر
يـــا قلعـــة المجـــد الـــتي دونـــت في صـــفحة مـــن عمرنـــا الغـــابر
يـــا حاضـــرا ينســـج لحـــن المنـــى شـــوقاً إلى المســـتقبل الزاهـــر
هـــا قـــد أتينـــا مـــلء أوراحنـــا حـــب لوجـــه البهجـــة الطـــاهر

(١) الجرح إذا تنفس ، نجاة الماجد ، ص ٤٢ .

يـــا طـــائف الأحـــلام زد مهجـــتي عشـــقاً همـــى مـــن طيفـــك العـــابر
واســق (الشــفا) انفــاس عطــر (الهــدا) واســق الهــدا مــن حســنه الآســر[1]

وكـذلك الشـاعر أحمـد سـالم باعطـب في ديوانـه " الـوطن ولاء وانتمـاء " ، والـذي خصصـه للاحتفـاء بـالوطن ، وذكـر العديـد مـن المـدن السـعودية ، مـن مثـل : جـازان ، والباحـة ، والهنـوف ، وحائـل ، الـتي أفـرد لهـا قصـيدة بعنـوان : " الطـائف حبيبـة لا تنسـى " ، حيـث يـتغني بمظـاهر جمالهـا الطبيعـي ، ويتغـزل بهـا عاشقاً :

هـواك يـا منـيتي يحلـو تخيلـه أبيـت أنكثـه شـوقاً وأغزلـه
وكـم ركبـت جنـاح الغـيم يحملـني إلى مجـاني النـدى حلـم ويحملـه
وطـاف بـي موسـم بالأمنيـات نـدىً كانـت لياليـه أعراسـاً تدلـله
وهزنـي موكـب حلـو الـرؤى عطـر يسـتقبل الحـب ايمـاء ويرسـله
فقلـت مـيلاد مـا نبغـي أضـاءلنا فهـل تبادلـه الـذكرى فتسـأله
عـن الصـبا الغـض يسـقينا لذاذتـه عـن غيمـة بـالمنى كانـت تظللـه
عـن الربـا الخضـر لوحـات مطـرزة وديمـة ثـرة الأطيـاف تغسـله
عـن مسـرح الفـن في وج ومتحفـة فالحـب مشـعله والنبـع بلبلـه
عـن الكواكـب والمثنـاة تحضـنها تختـال في الأفـق يضـويها فتشـغله
وهـل تمخـض وادي النمـل عـن قمـر اغـرى الفراشـات فانسـلت تكحلـه

(١) صدى الأشجان ، حسن محمد حسن الزهراني ، ص ١٦٢ .

أجـابني طـائف مـن أهلـه مـرح يسـري بشـعري علـى سمعـي يرتلـه
وقـال : هـذا الحمـى المـأنوس طلعتـه مدينـة الشـعر والإلهـام جدولـه[1]

٤ – مدينة جدة :

تتميز مدينة جدة بجاذبيتها الطبيعية إذ تتربع على أهم موقع في ساحل البحر الأحمر ، فكان أن استمدت تسميتها : عروس البحر الأحمر ، وكذلك حركيتها الاجتماعية والاقتصادية ، باعتبار زخم النشاط التجاري بها ، والذي يتجلى في كثرة أسواقها ومراكزها التجارية ، وتنوع الجنسيات التي تأهلها ، مما جعلها تمثل نوعاً من المدينة العالمية ، التي تغري بالزيارة لغرض الاكتشاف والسياحة والتسوق ، ونظراً لمجموع خصائصها تلك فقد حظيت باهتمام العديد من الشعراء السعوديين ، عمدوا إلى وصفها و التغني بمظاهر جمالها ومختلف معالمها وأجوائها .

وهو ما يمثل له الباحث بقصيدة : " يا جدة الحب " ، للشاعر شتيوي الغيثي ، من ديوانه " لا ظل يتبعني " ، حيث يتغنى بجمالها الساحر ، فيشخصها وتسبهها بالعروس في سحر فتنتها ، ونور إشراقها ، إلا أنها ليست عروس البحر فحسب ، وإنما هي مدينة الشعر ، ومدينة العشق ، وهي أخت مكة ، حيث تمثل المنطق إليها عمرة وحجاً ، يقول متغزلاً بها وعاشقاً ومتغنياً بمحاسنها :

---

(١) الوطن ولاء وانتماء ، أحمد سالم باعطب ، ص ٦٧ – ٦٨ .

يـا جـدة الحـب يـا صـوت المـزامير ... ويـا عروسـا علـى بحـر مـن النـور
عرفـت حسـنك ، يـا حسـنا يخـامرني ... عرفـت طيفـك عـن بعـد كمسـحور
يـا جـدة الشـعر .. يـا حزنـا يسـامرنا ... يـا سـحبة (السمسـميات) المكاسـير
يـا أخـت مكـة هـل كـان الهـوى لعبـا ... أم كـان شـوقاً يـداري بعـض تقصـير
أنـا المتـيم مـن رمـل (النفـود) سـرى ... بعضـي إليـك ومـائي جـف في الـبير

ثم ينتقل الشاعر بعد رسمه الوجه المشرق لمدينة جدة إلى تصوير ما آلت إليه من غرق ومآسي في السنوات الأخيرة كلما أمطرت سماؤها ، دون أن ينصت لاستغاثتها أحد فيهرع إلى نجدتها ، يقول :

يـا جـدة الوجـع المحفـور في كبـدي ... مـاذا تبقـى لأشـعاري ومنثـوري
مـاذا أحـدث عـن حسـناء يتركهـا ... عشـاقها بـين أفـاق ومـأجور
أمسـيت أنظـر وجهـاً لسـت أعرفـه ... فهـل تخفيـت مـن خلـف التصـاوير
رميـت عنـك قنـاع الزيـف فانكشـفت ... كـل الـدمى وتجلـى كـل مسـتور
رميـت عنـك مسـاحيقا ملفقـة ... فبـان مـن خلفهـا وجهـاً لمجـدور[1]

هي ثنائية الصورة التي يرسمها الشاعر لمدينة جدة : مثال الجمال في الظاهر إلا أنه مثال مغلوط ، إذ يخفي وجهها الحقيقي الكثير من التشوهات التي تجعله قبيحاً ، ينفر ولا يجذب الآخر .

---

(١) لا ظل يتبعني ، شتيوي الغيثي ، سبق ذكره ، ص ١٠٠ – ١٠١ – ١٠٢ .

أما الشاعرة نجاة الماجد فتخص هذه المدينة بقصيدة ، (جدة قطر الندي) ، تتغنى فيها بوجهها المشرق الذي يجعلها مصدراً جذاباً للزوار إليها من كل البلاد والآفاق .

وقد صاغت عشقها في خطاب ذاتي انفعالي في قولها :

يا عروس البحر يا قطر الندى ... في هواك بات قلبي منشدا
أي حسن أي فن ساحر ... قد تجلى فيك واجتاز المدى
أه من سحر لجدة ساقني ... كي أكون لها وعنها منشدا
آه من نور لجدة شدني ... كي يظل الطرف منها مسهدا
يا عروس البحر يا حسنا بدا ... وضياء لا ولن يتبددا[1]

٥ – مدينة الرياض

حضرت مدينة الرياض ، العاصمة السياسية للملكة في عدد من قصائد الشعراء السعوديين ، الذين عمدوا إلى تصوير معالمها المختلفة وما تعكسه من نهضة حضارية في الزمن الماضي ، فضلاً عن استعادتهم لتاريخها مما أكسبها قيمة جعلتها مقصد الزوار و السياح ، وهي المعاني التي صاغها الشاعر عبد الرحمن ابن زيد السويداء ، في قصيدته : " الرياض " حيث يقول متغنياً بجمال طبيعتها وشذا روائحها :

---

(١) الجرح إذا تنفس ، ص ٤٨ .

ضـــحك الـــروض بأزهـــار الفـــلا وتغنـــى الطـــير لحنـــا جـــذلا
والخزامـــى نفثـــت انفاســـها وشـــحت حطميهـــا والـــنفلا
وانـــبرت للشـــيح نســـمات الصـــبا تســـرق الأردان ريحـــاً خضـــلا
كـــل روض جـــاد في أشـــذائه عـــانق الثـــاني يبادلـــه " هـــلا "
وجنـــت مـــن فـــوقهم ضـــاحكة ترســـل العـــبرات ســـحاً مســـبلا[1]

ثم يصف تاريخ موقعها الجغرافي الذي أقيمت عليه ، وهو الوتر[2] مشبهاً إياها بالحسناء التي تبسط ثوبها على أرجائه ناثرة فيه العقود من جمان . وهي صورة دالة على جمال موقع الرياض وبهاء صورتها ومناظرها ليلاً ، وذلك بعد أن عرض لعراقة تاريخها ، من خلال تمجيد التاريخ البطولي للقبائل التي أقامت بها ، حيث يقول :

عمهـــا " طســـم " بعـــز قـــد بـــدا في محياهـــا رأيـــت الســـؤددا
و (جـــد يـــس) خالهـــا تدركـــه ثـــورة البركـــان يغتـــال الـــردى
إنهـــا طســـمية جدســـية في وراء الحجـــر عاشـــت ســـرمدا
تقصـــم الأعـــداء في أزنادهـــا حـــين شـــادت في سماهـــا الأمـــردا[3]

---

(١) رؤى مسافر ، عبد الرحمن بن زيد السويداء ، دار السويداء للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م ، ص ١٠٩ .

(٢) الوتر ، وادي البطحاء الحالي .

(٣) السابق ، ص ١٠٧ .

ونفس علامات الإشارة بازدهار الرياض الحضاري يضمنها الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته " شذى الرياض " ، من ديوانه : " القلائد " حيث يستعيد ماضيها المجيد وتاريخها العريق ، السياسي والاجتماعي والأدبي ويشيد بمكانتها الرفيعة في الزمن الحاضر ، لا عاصمة للمملكة فحسب وإنما عاصمة لكل العرب يقول :

هاهنا ربوة كناصية الش ... مس تمد الشعاع في الشرق مدا
باركتها يد الإله فأضحت ... لبناة العلا سريراً ومهدا
تلد الفجر عبقريا ولا تن ... جب إلا البدور فذاً وفردا
الرياض الرياض عاصمة (العر ... ب) ملاذ القلوب شيباً ومردا
منتدى أمتي وقلب (بلادي) ... شرفاً باذخاً وركناً أشدا[1]

تلك أبرز المدن السعودية التي حضرت في الكثير من قصائد الشعراء السعوديين بصور كثيرة مختلفة متنوعة ، تشترك في الدلالة على قوة وشائجهم في إبداعهم الشعري بها خاصة وبالمكان عامة ، وهو ما تجلى في تغنيهم بمظاهر جمالها الطبيعي والمناخي بالنسبة لكل من " أبها " و " الباحة " و " الطائف " ، وبمظاهر ازدهارها الحضاري لكل من " جدة " و " الرياض " وهي الصور المشرقة لمدن اجتذبت إليها الشعراء وأغرتهم فكانوا لها عاشقين بعد أن استعاروا لها في الكثير من النماذج الشعرية صورة الحسناء الفاتنة ، فكان

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن على السنوسي ، ديوان القلائد ، ص ١٥٩ .

التمـاس بـين الـواقعي والمتخيـل ، الحقيقـي والحلمـي ، المحسـوس والمجـرد في عملية تشكيل الصور الفنية ، التي اتسمت بغناها الجمالي والدلالي وتنوعها .

غـير أن الشـعراء السـعوديين لم يقفـوا عنـد تصـوير المـدن السـعودية فحسـب بـل تجاوزوهـا إلى تصـوير عـدد مـن المـدن العربيـة في شـتى تجلياتهـا التاريخيـة والراهنة المشرقة والقائمة .

بـ) المكان : المدينـة العربيـة :

تـواتر حضـور المدينـة العربيـة في الكـثير مـن قصـائد الشـعراء السـعوديين ، ممـا جعلـها تشـغل مسـاحة حضـور مهمـة في إبـداعهم الشـعري . وهـو حضـور تعـددت أشـكاله وتنوعـت حسـب منظـور كـل شـاعر لهـذه المدينـة العربيـة أو تلـك ، ومـا توحيـه لـه مـن قـول شـعري تعـددت محفزاتـه وتتنـوع ، حسـب مـا يميـز تـاريخ كـل مدينـة ، القـديم منـه والحـديث والمعاصـر مـن أحـداث ومـا شـهدته مـن تحـولات طالـت مختلـف مجـالات الحيـاة بهـا ، وكانـت لهـا انعكاسـاتها السـلبية أو الإيجابية على أهلها .

ولقد توصـل الباحـث مـن خـلال رصـده للكـثير مـن دواويـن الشـعر السـعودي الحـديث والمعاصـر إلى تعـدد صـور المدينـة العربيـة وتنوعهـا ، ممـا أسـهم في إغنائهـا وتنويعها جمالياً ودلالياً .

١ – القدس السليبة :

هي مدينة القدس التي تواتر حضورها في الكثير من القصائد الشعرية السعودية ، لتمثيلها جوهر القضية الفلسطينية والجرح العربي النازف ، منذ ما يزيد عن الستة عقود .

يقول الشاعر حسن محمد حسن الزهراني في قصيدة : " رسالة إلى القدس " والتي يصوغ منها موقفه من القضية الفلسطينية ، حيث تقاعس الحكام العرب والمسلمون عن نصرة القدس ، بسبب افتتانهم بالسلطان والمال ومتع الدنيا وعدم عملهم بما جاء في دينهم الإسلامي كتابا وسنة من مبادئ تدعو إلى قتال الغاصب الظالم والمعتدي ، مما شتت شمل المسلمين وكرس مظاهر فرقتهم وحول عزة سلفهم وقوتهم إلى ذل وهوان وضعف ، جعلهم عاجزين عن تحرير فلسطين وتحقيق النصر على العدو الصهيوني الغاصب ، يقول :

يا قدس عيني براها الهم والسهر ... وبات منها غزير الدمع ينهمر
وكادت النفس تقضي حرقة وأسى ... وكاد قلبي من الأحزان ينفطر
لما أرى فيك من ظلم ومن عبث ... شكى إلى الله منه الصبر والشجر
وأمتي في سبات لا تؤرقها ... شكواك إذ حام في أرجائك الخطر
الذنب ذنب بني الإسلام قاطبة ... ألهاهم المال والآمال والسهر

أعطـــاهم الله في جـــود وفي كـــرم مـن فضـله نعـم تـترى فمـا شـكروا
لـذا تـراهم شـتاتا لا قـرار لهـم وكلمـا خرجـوا مـن عثـرة عثـروا[1]

ويتـواتر حضـور القضـية الفلسـطينية في أكثـر مـن قصـيدة وديـوان ، مثـل " ناصـر القـدس " للشـاعر عبـد الـرحمن معـيض سـابي الغامـدي ، حيـث يسـتدعي شخصـية صـلاح الـدين الأيـوبي ، داعيـاً إيـاه لاسـتنهاض همـم قومـه حتـى يفتحـوا القـدس مجـدداً ويحققـوا النصـر علـى الأعـداء الصـهاينة ويتجـدد عـز الأمـة الإسـلامية ، يقول :

يـا مـن زأرت زئـير الأسـد إن غضـبت مـا كـان قولـك أضـغاثا ولا لعبـا
لكنـه الحـق يـأبى أن تدنسـه حثالـة النـاس لا طبعـاً ولا حسـبا
بنـوا علـى المكـر صـرحاً واهنـا وغـداً ريـح الحقيقـة لا تبقـي لـه طنبـا
فـالظلم مهمـا تمـادى في بشـاعته لا يسـتطيع مـع الأحـرار أن يثبـا
يـا طيـب الـذكر يـا مـن في دماثتـه ترياق داء وإنصـاف لمـن غلبـا
هـززت بـالقول رجسـاً ظـن خادمـه أن العقيـدة مـا عـادت لنـا سـببا
فخـاب لمـا تجلـت في حـديثهم وضـاق ذرعـاً وأمسـى الليـل مضـطربا

(١) صدى الأشجان ، حسن محمد حسن الزهراني ، ص ٥٧ .

يـا ناصـر القـدس والأنظـار تـرقبكم قـولا حكيمـاً وعينـا ترسـل اللـهبا
يـا أكـرم النـاس والإحسـان مـنهجكم سراً وجهـراً وطهـر الخـير مـا احتجبا[1]

٣ – بغداد الفاجعة والمأساة :

تحضـر إلى جانـب مدينـة القـدس السـليبة مدينـة بغـداد ، مدينـة الفاجعـة والمأسـاة بسـبب مـا شـهدته مـن حـروب في العقـد الأخـير مـن القـرن العشـر يـن ، حـرب الخلـيج الأولى والثانيـة والـتي انتهـت بـالغزو الأمريكـي لهـا عـام ١٤٢٤ هـ . وهـي الوقـائع الـتي كـان لهـا تأثيرهـا في العـراق الـبلاد ، وفي بغـداد العاصـمة وفي العبـاد . ففـي قصـيدة : " شمعـة في ليـل بغـداد " يصـور الشـاعر أحمـد المنعـي ، مأسـاة بغـداد ومـا تركتـه في نفسـه مـن ألم ، مقارنـاً بـين ماضـيها التليـد الضـارب في القـدم عنـدما كانـت مهـد أكثـر مـن حضـارة ، وحاضـرها الـتي تحولـت فيـه إلى ركـام بفعـل الـدمار الذي لحقها ، يقول :

في جـرح بغـداد أبحـر أيهـا الألم واسـكب كنهـر الفـرات الشـعر يـا قلـم
تجتـاحني كـل يـوم ألـف داهيـة فأحتويهـا ومـا تختـل لـي قـدم
وتغـرس الآه في الأعمـاق خنجرهـا فـأدفن الجـرح في صـدري وأبتسـم
لكـن أركـان صـدري كلـها انهـدمت لمـا رأت ذلـك البنيـان ينهـدم
بغـداد يـا فتنـة الـدنيا وبسـمتها يالوحـة بيـد الـرحمن ترتسـم

---

(١) أوجاع أنثى ، عبد الرحمن معيض سابي الغامدي ، نادي الباحة الأدبـي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٧٧–٨٧ .

ثلاثـــة أنـــت يـــا بغـــداد رابعهـــا القـــدس والمســـجد المختـــار والحـــرم
هـذي المـآذن لـولا الشـوق مـا وقفـت ترنـــو إليـــك وفيهـــا الحـــب يضـــطرم
هـذي قصـور بـين العبـاس مـا هرمـت هـــل يعـــرف الشـــيب في بغـــداد والهـــرم
بغـداد في كـل حـرف باسمـك التحفـت بحـــور ذكـــرى وبـــدء لـــيس يختـــتم
في كـــل شـــبر روى التـــاريخ ملحمـــة مـــن الجـــدود وأبـــدت زهوهـــا القمـــم
واليـــوم في كـــل شـــبر طفلـــة لبســـت أسمـــال بـــؤس وفي أهـــدابها ألم [1]

وذات المعـاني يصـوغها الشـاعر عبـد الـرحمن معـيض سـابي الغامـدي ، عـن مأسـاة بغـداد في قصـيدتين تحمـل الأولى عنـوان " حسـناء بغـداد " وفيهـا يحتفـي ببغـداد المدينـة الـتي يعمـد إلى تشخيصـها امـرأة حسـناء ، تتحلـى بكـل صـفات الفتنـة والجمال والجاذبية يقول :

لـدفء عينيـك قـادتني خطـا ولهـي طهـــراً أتيـــت فـــرق البـــوح والســـفر
لهمسـك العـذب صـنعت الشـعر أغنيـة فليـت شـعرى هـل يرضـيك يـا قمـر
حســناء بغــداد حســن فيــك علمــني أن الحيـــاة بـــلا حـــب هـــي الكـــدر
يـا حلـوة العـين والأهـداب تأسـرني ومـــا تأملتهـــا إلا قضـــى الضـــجر
إنـــي لأبحـــر في عينيـــك أشـــرعتي دفء الأمـــاني وشـــوق حـــالم عطـــر
قمحيـة الشـعر يـا جيـدا سـكرت بـه ويـا نسـيماً زهـا مـن عطـره السـحر [2]

---

(١) الحب كله ، أحمد المنعي ، الانتشار العربي ، بيروت ، النادي الأدبـي بمنطقـة الباحـة ، ط ١ ، ٢٠١١ م ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٢) أوجاع أنثى ، عبد الرحمن معيض سابي الغامدي ، ص ٥٥ .

غـير أن هـذه الصـورة المشـرفة لبغـداد سـتتحول إلى النقـيض ، بسـبب مـا عاشـته بغـداد مـن حـروب ودمـار حولهـا إلى مدينـة الفاجعـة و المـوت . تـثير الرثـاء بعـد أن كانـت مصـدر فخـر وتمجيـد ، يقـول الشـاعر عبـد الـرحمن معـيض سـابي الغامـدي في قصيدته الثانية عن بغداد والموسومة باسمها :

أبكـــي لطفلـــك أم أبكـــي لمـــرآك ... أم أســـتظل بتمـــر نخلـــه شـــاك
بغـداد هـذا الأسـى أمسـى يـؤرقني ... وفي همـــومي يـــا بغـــداد ألقـــاك
يـــا أم هـــارون في الأعمـــاق أســـئلة ... مـــن الجـــراح الـــتي تعلـــو محيـــاك
وبـي مـن الـذل مـا أشـكو بـه ثقلـي ... فليـت شـعري يـا بغـداد يرعـاك[1]

ثـم يـدين الشـاعر صـمت العـرب والمسـلمين عمـا حـدث لبغـداد ويحـدث ، فيعـبر عـن يأسـه مـن صـحوة نخـوتهم حتـى يقومـوا بنصـرة بغـداد وتحريرهـا مـن الغاصـب الأجنبي ، حتى تستعيد سالف مجدها .

يقول :

بغـداد لا ترتجـى مـن غيمنـا مطـراً ... فقطرنـا يـا عـروس البيـد إِشـقاك
ميسـون تحـت أديـم الأرض تسـألنا ... ألم نصـــل ألم نثـــأر لقـــتلاك
ألم نـــزل في خنـــوع الأمـــس يقتلنـــا ... صـــمت مديـــد رهيـــب ذلـــه حـــاك

(١) المصدر السابق ، ص ٨١ .

ويتوجه الشاعر مسفر العدواني في قصيدته : " بغداد الرشيد " بالخطاب إلى مدينة بغداد زمن هارون الرشيد في عزتها ومجدها ليقارن بما آلت إليه في الزمن الحاضر من استلاب أرض واستعباد شعب ومهانته والتنكيل به من طرف الغاصب الأجنبي بعد غزوه لها عام ١٤٢٤ هـ ، يقول في لغة تمجيدية لبغداد الشموخ والإباء والبطولة ، وتختلط بالتحفيز واستنهاض الهمم :

لا تلتفت لرسائل التهديد ... واضرب بسيف الحق كل حقود
أنت القوي وسوف تبقي عالياً ... فلك العلا والموت للرعديد
فهنا صدى صوت الرشيد تسوقه ... بين الجبال كتائب الترديد
وهناك بغداد الرشيد مآذن ... بيضاء تشكو لوعة التنهيد[1]

هي المفارقة الدالة بين مدينة بغداد في زمن الخليفة هارون الرشيد ، مركز حضارة وقوة سياسية مهيبة الجانب ، ومدينة بغداد في الزمن الحاضر ، بعد حرب الخليج وغزو الأمريكان لها ، ولذلك يعترف الشاعر بأنه لا يملك غير الكلمات الشعرية تعاطفاً مع بغداد ومواساة لها أرضاً وناساً في مأساتها : يقول:

لك من حنين القلب ألف تحية ... محفوفة بالحب والتأييد
لو كنت سيافاً يقدس سيفه ... رصعته بجواهر التمجيد
وبنيت من جثث العراق مدائنا ... تسمو بلا وجع بلا تعقيد
وجعلت اسراب النجوم منابراً ... تلغي هموم البؤس والتسديد

---

(١) جمر الأنين ، مسفر العدواني ، نادي الباحة الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ص ١٠٥ .

ورسمت بغداد الرشيد حمامة تدعو جيوش الغدر للتوحيد
لكنني ألم يعيش بحرقة بين الجروح مكبلاً بقيود
اخترت من عرش القصيد كواكباً ونظمتها شعراً بنزف وريدي[1]

قصيدة أخرى رثائية للعراق البلد والناس صاغها الشاعر على الإيقاع الجنائزي لحادثة إعدام صدام حسين صبيحة عيد الأضحى من عام ١٤٢٧ هـ وهي إلى ذلك رثاء للأمة العربية في تخاذلها عن نصرة العراق وعجزه عن التصدي للغاصب الأجنبي وهو يستبيح أرض بلاد الرافدين ، ويدنس معالمها وينكل بأهلها ويتعدى على أعراضهم .

وهي ذات معاني التفجع على ما آل إليه العراق المجيد عقب الغزو الأمريكي له ، يصوغها الشاعر ماجد بن عبد الله الغامدي ، في قصيدته " العراق جمرة القلب " ، معبراً عن إدانته للموقف العربي الصامت الضعيف الذليل ، ومشيداً بتصدي صدام حسين للعدو الأجنبي ، يقول :

أمتي يا ربيبة المجد أصغي أين تلك الجيوش أين الجموع ؟
إن أمجادنا القديمة فينا تتلظى بجمرهن النجوع
انظري للعراق يسبي جهارا وتهاوي ذاك البناء الرفيع

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

في العـــراق الجـــريح يـــذبح مجـــد أي ذبـــح وقـــد تغاضـــى الجميـــع
إنـــه شـــعلة الإبـــاء صـــمودا وحـــده قـــال ضـــدهم لا خنـــوع[1]

ويختـتم الشـاعر قصـيدته بالتأكيـد علـى أن التـاريخ سيسـجل ذلـك الصـمود لـذلك القائـد ، وذلـك الجـبن والغـدر و التخـاذل ، وجميعهـا لم تخلـف للعـرب سـوى العار ، يقول :

أي عـــار ألبســـتمونا ثيابـــاً أن قـــدراً " أنزلتمونـــا " وضـــيع
أي جـــبن حملـــتم .... أي ذل وهـــوان يشـــبب منـــه الرضـــيع
أي ظلـــم اســـقيتمونا زعافـــاً إن ظلـــم القريـــب ظلـــم شـــنيع
يحفـظ الـدهر كـل حـين سـجلا وسـيبقى لكـم سـجل ذريـع[2]

٣ – بيروت الجريحة ولبنان النازف :

يتـواتر إلى جانـب مدينـة القـدس السـليبة وفلسـطين الجريحـة ، منـذ عقـود مـن الـزمن حضـور مدينـة بـيروت في مأسـاة حربهـا الأهليـة وغـزو العـدو الصـهيوني لهـا في صيف عام ١٤٠٢ واقترافه أشنع جرائم القتل والوحشية والدمار لها .

---

(١) حيث مر الغيم ، ماجد بن عبد الله الغامدي ، الباحة ، النادي الأدبي لمنطقة الباحة ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦١ .

ويصور الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدته " صبرا وشاتيلا " المجزرة الفظيعة التي اقترفها جنود الاحتلال الإسرائيلي ، متجاوزين كل المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان ، يقول :

أينه الإنسان في أعرافهم ... ويل من جار وباع الذمما
ومضى يجتاح في طغيانه ... أنفساً تحمي وترعي القسما
أشعل الحقد ومن غلوائه ... كل ما في الأرض أضحى عدما
أن " شاتيلا " و " صبرا " اتحدا ... فوق نصل غادر والتحما
من رأى ليل الأسى مرتسما ... نثر الهول عليها الرمما
صور ما زال فيها نابض ... بسأل الثار ويخفي الألما[1]

ثم يتوجه بالخطاب إلى الصهاينة منذراً أن الثأر من جرائمهم قادم ، متحسرا على ضياع الأمجاد والبطولات العربية في العصر الحاضر ، حيث يستكين العرب ، ليكتفوا ببعض مواقف الشجب والتنديد أمام إمعان العدو الصهيوني في عسفه بالعباد ، واستمراره في نهبه الأرض الفلسطينية وهنا اجتياحه الأرض اللبنانية وعيثه فساداً فيها ، يقول :

يا بني صهيون إنا معشر ... نبذل الأنفس منا والدما
هل ترى المحنة فينا أيقظت ... غفوة تبعث فينا الشمما [2]

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، ضمن ديوان النبع الظامئ ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

أما الشاعر حسن محمد حسن الزهراني فيتفاعل مع تداعيات الحرب الأهلية اللبنانية حيث يقارن بين لبنان الإشراق والجمال قبلها ، ولبنان السواد والدمار بعدها فيقول في خطاب تفجع :

لبنان واحسرتي لبنان وا أسفي ... مما أرى فيك نار القلب تضطرم
كانت رياضك جنات بلابلها ... تشدو فيسري شجياً بينهم نغمُ
أصغى بنوك لأقوال الوشاة وهم ... بكيد أعدائهم في السر ما علموا
ياليتهم أدركوا عقبى الذى صنعوا ... كم أسرة شردوا كم منزل هدموا
وليتهم حكموا القرآن واعتصموا ... بسنة المصطفى الهادي وما اختصموا[1]

ومقابل هذه الصور السلبية لبيروت المأساة نتيجة ما لحقها من دمار الحرب الأهلية وغزو العدو الصهيوني لها ، يعمد الشاعر شتيوي الغيثي إلى رسم صورة مشرقة لبيروت في قصيدته : " صديقتي بيروت " يتغزل فيها بمحاسنها الطبيعية وأمجادها التاريخية ومعالمها الثقافية ، مستعيراً لها صورة الحبيبة الجميلة التي تسكنه ، فيحملها أينما اتجه وحيثما نزل يقول :

بيروت يا صديقة السماء

بيروت يا صديقتي .....

---

(١) صدى الأشجان ، حسن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

بيروت يا جميلتي .....

يا لغة زكية تسبح في الهواء .

بيروت أحلى امرأة تعيش في الأحشاء .

يا أول الحب الذي أغرقني

يا آخر البيت الذي أسكنني

في عالم الفضاء [1]

فـبيروت هـي المدينـة البـديل لمـوطن الشـاعر يلـوذ بهـا نشـدانا للراحـة والمتعـة والجمال بعيداً عن مدن القيظ والغبار ، يقول :

آتي إلي بيروت كي أغازل الأشجار ...

والمساء

آتي إلي بيروت كي أداعب الأصداف .....

جميلتي : و الرملة البيضاء

آتي إلي بيروت حيث ...

القهوة السوداء

---

(١) لا ظل يتبعني ، شتيوي الغيثي ، طوى للنشر والإعلام ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٩ .

آتي إلى (جعيتا)

أتي إلى (جونية)

آتي إليك باحثا عن فرحي

الضائع في (شوارع الحمراء) [1]

٤ – صنعاء اليمن والمفارقة بين الماضي والحاضر :

تحضر إلى جانب مدن القدس وفلسطين وبيروت ولبنان مدينة صنعاء ، حيث يعمد الشاعر محمد محسن الغامدي إلى التغزل بها في قصيدته : " يوميات صعلوك صنعاء " وذلك بوصف أجواء الحياة بها وطقوس سكانها مع القات والقهوة ، فضلا عن وصفه عراقة تاريخها وحضارتها منذ ملكة سبأ حتى الأزمان الحديثة والمعاصرة ، حيث انتشر فيها البؤس ولونت أزقتها الكآبة وطبعت ليلها الوحشة ، يقول :

وقفت على سواد العين يا نجوى

وكنت العود في صنعاء بعد العصر

وكنت القات بعد الظهر

وقفت بكل طهارة القراء عند الحائط الغربي للجامع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

برائحة الندى والخبز والبسطاء

والمتسولين وباعة الاحجار

وصبيان من التاريخ بين أزقة الماضي

بسوق الملح هل قرأ الجميع رواية موسومة بالملح

كيف تنصلوا من فعل ما قرأوا وقد شربوا

وقد طربوا وما حفلوا بقهوتك الحرازية [1]

ويعمد إلى استعادة عراقة تاريخ اليمن ، منذ مملكة سبأ إلى الزمن الراهن ، في خطاب استعادة تاريخ مكثف ، ينتهي به إلى إبراز المفارقة بين ماضي اليمن العربي الأصيل وحاضره البائس المغلق الآفاق ، ويتقمص شخصية هدهد النبي سليمان ، وهو يطلعه على أحوال مملكة سبأ الحاضرة والماضية ، يقول :

سأحلف أنني الهدهد

وأني قد نسيت الريش حين ركبت في " المكرو "

فلم يعرفني السائق

وكان بجانبي امرأتان إحداهن ناشطة سياسية

أرادت أن تحدثني عن الأحزاب والإضراب والأصحاب

---

(١) السير على الأقلام ، محمد محسن الغامدي ، مطبوعات الأدبي بالطائف ، ٢٠٠٩ م ، ط ١ ، ص ٧٣ .

وكنت أضعت عند العرش خارطتي

وكان عليّ أن أفهم وأن أعلم وأن أبصم

ويوم قفزت فوق الضوء لم تسعفني الكلمات

فصار الحزن دهليزاً من الشكوى

وضاعت آخر الملكات [1]

ويصور الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدة : " نكبة اليمن " ، الزلزال الذي اجتاحه وحول الكثير من مدنه إلى ركام ومنها العاصمة صنعاء ، يقول في خطاب تلونه أصداء الفاجعة والمأساة :

يا أرض بلقيس قد جاءتك نازلة ... طخياء أذهبت الألباب والكبدا

مادت بها الأرض وانهارت معالمها ... كأنما هي روح فارقت جسدا

" صنعاء " وارتجت الدنيا مولولة ... الله أكبر خطب أورت الكمدا

" صنعاء " وافترق الأحباب في عجل ... وعاش من عاش يبكي الأهل والولدا

خرت جبالك وأندكت شوامخها ... وأصبحت كهشيم طال وانجردا[2]

ومقابل هذه الصورة السلبية لليمن غداة الزلزال الذي أصابه يعمد الشاعر محمد ابن علي السنوسي إلى الاحتفاء بحدث توحيد اليمن الذي وضع حداً للحرب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٢) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ٢١٩ .

الداخليــة ، الــتي كانــت رحاهــا بــين الشــمال والجنــوب المطالــب بالاســتقلال ، يقول:

يـــا للســـلام يهـــز بالألحـــان أعطـــــــاف المـــــــوات
قـــرت بـــه عينـــا وأكبـــادا قلـــــــوب الأمهـــــــات
وتعـــانق الأخـــوان واطرحـــوا أكاذيـــــــب العـــــــداة
رفعـــوا قضـــيتهم عـــن الأهـــواء فـــــــوق الـــــــنيرات
وغـــــدوا إلى أرض النبـــــوة والأخـــــــوة والهـــــــداة
زمـــــراً إلى زمـــــر حثيثـــــي الســـــير في كـــــل الفئـــــات
وعلـــى رحـــاب النـــور مـــن أرض الهـــــــدى والمكرمـــــــات
نبـــــذوا خلافـــــات الهـــــوى وسمـــــوا إلى أسمـــــى الصـــــفات
واهتـــــزت الـــــدنيا علـــــى نبـــــأ كأزهـــــار النبـــــات[1]

5 – اسمرا / البطولة :

يعمد الشاعر محمد بن علي السنوسي إلى الاحتفاء بمدينة أسمرا عاصمة أريتريا وتمجيد بطولة أهلها في مقاومة العدو الغاشم أثيوبيا يقول في خطاب احتفائى :

جـردت (أسمـرا) سـواعدها السـمر وثـــارت وثـــار ســـيف ومـــدفع
وانتضـــى شـــيبها الســـلاح كفاحـــاً رغـــم (كوبـــا) و (روســـيا) والمقنـــع
ومضـــينا إلى الحمـــام كـــراديس متاريســـنا مـــن الأرض بلقـــع

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ديوان الأزاهير ، مطبوعا نادي جازان الأدبي ، ط ٥ ، ١٤٢٣ هـ .

نحضـــن المـــوت بالصـــدور ونمشـــي فـــوق ألغامـــه حفـــاة ونـــزرع

نـــزرع التربـــة الـــتي أنبتتنـــا ورعتنـــا (حريـــة) لا تـــروع

وتفـــيض الـــدماء فيهـــا ونســـقيها بأرواحنـــا لتزهـــو وتمـــرع

ونعيـــد الحيـــاة خضـــراء كالريحـــان غضـــا وكالينـــابيع مشـــرع

فـــأفيقي (أديـــس أبابـــا) أفيقـــي فجرنـــا يصـــدع الظـــلام ويصـــفع[1]

٦ – جزائر الثورة والشهادة :

يحتفي الشاعر غازي عبد الرحمن القصيبي ببطولة الجزائر في حرب تحريرها ضد المستعمر الفرنسي في قصيدة " الجزائر " ، رمزاً للثورة والبطولة والفداء معبراً عن تعاطف كل العرب مع ثورتها المجيدة :

أرض الجزائر يا انتفاضات اللظى

إن البطولة في هضابك تحتمي

والكون يكبر فيه غضبة ماجد

يأبي حياة الخاضع المستسلم

والكون يروي عن نضالك قصة

ما طاف معناها بخاطر معلم

---

(١) المصدر السابق ، ديوان نفحات الجنوب ، ص ٧٥٦ ، ٧٥٧ .

وقوافل الأبطال من آبائنا

خلف السنين تصيح : هيا أقدمي

يا ثورة الأبطال حيتك العلا

وجثت على الترب الأبي الأكرم

قد روع الأعداء عزمك فانثتوا

بالنار ... والأهوال .. والحقد الظمي

فوقفت في وجه الطغاة أبية

والموت يعصف .... والكتائب ترتمي

قد جرعوك من المصائب مرها

ووجدتها العسل المصفّى في الفم (١)

ثم يكشف عن ازدواجية خطاب فرنسا المستعمرة ، حيث تتبني الحرية والمساواة والعدالة قولاً لكن تمارس الضد عملاً ، وهي المفارقة التي يدينها الشاعر في قوله :

إيه فرنسا ! أين ثورتك التي

---

(١) البراعم ، غازي عبد الرحمن القصيبي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، دار القمرين للنشر والإعلام ، الرياض ، ص ٥٦ – ٥٧ .

هدت عروش الظالم المتحكم ؟

أين المساواة التي نادت بها

ورويتها بالدمع ... أمس وبالدم ؟

هل عاد " روبسبيير " فيك و أقبلت

تلك العهود بوجهها المتجهم ؟

عهد المقاصل قد تجدد ظله

فالمجد باك .. والعلا في مأتم [1]

ويختتم الشاعر قصيدته برؤية تفاؤلية ، حيث يتوجه بالخطاب إلى الجزائر ، مؤكدا لها أن النصر قادم وأن الفجر آت بعد كل ذاك الظلام والظلم وأن الحرية ستتحقق ونكسر قيود المستعمر ، يقول :

أختاه ! مهما طال ليلك فاصبري

فالفجر آت بالسنا المتبسم

وغدا سيزدهر الربيع ... فلا أسى

يطغى ... ولا قيد يحيط بمعصم [1]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٥٨ .

ويعمد الشاعر محمد بن علي السنوسي إلى ذات الاحتفاء بالجزائر الثائرة ، في قصيدته " بطولة الجزائر " ، حيث يشيد بنضال الشعب الجزائرى رجالاً ونساءً ، شيباً وشباباً ، ضد عسف المستعمر الفرنسي ، وذلك غداة اندلاع حرب التحرير في الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ م .

يقول :

ودارت على أرض الجزائر ثورة ... يشيب عليها الدهر وهي كعاب
كتائب فيها (خالد) و (أسامة) ... و (سعد) وفيها (خولة) و (رباب)
إرادة شعب كبل القيد ساقه ... فصمم لا يثني قواه عقاب
وكانت إرادات الشعوب ولم تزل ... أحد وأمضى ، والحياة غلاب
هنا (جبهة التحرير) و الحق والهدى ... تخر النواصي عندها وتصاب
هنا العصبة الأحرار أما سماؤهم ... فرعد وأما بحرهم فعباب
هنا الأرض زلزال ، هنا الجو عاصف ... هنا الجبل الراسي وغىً وضراب
هنا النار زاد للجياع وها هنا ... حميم لأكباد الظماء شراب
محى الوعي أشباح الأضاليل وانطوى ... دجاها و ذابت غيمة وضباب[٢]

ومقابل هذه المدن التي عكست صور الحروب الأهلية أو مع العدو الخارجي:

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ديوان القلائد ، سبق ذكره ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

الصهيوني في كل من فلسطين / القدس ولبنان / بيروت ، والفرنسي في الجزائر ، و الأثيوبي في أسمرا ، والأمريكي في العراق ، نموذجاً للمدن العربية الباسلة ، تحضر مدن عربية أخرى يمكن أن نطلق عليها تسمية مدن العشق والحنين حيث مثلت موضوعاً شعرياً لعدد من الشعراء السعوديين الذين قاموا بزيارتها فأنطقهم القول إشادة بجمالها وتمجيداً لتاريخها وحضارتها وحنيناً لذكريات هؤلاء الشعراء بها .

١ – الأندلس الفردوس المفقود :

تحضر الأندلس الفردوس العربي المفقود ومدنها التي لا تزال تقوم شاهداً على حضارة العرب ومجدهم ، بعد إقامتهم بها وحكمهم لثمانية قرون ونيف وهو ما يصوره الشاعر عبد الرحمن بن معيض آل سابي الغامدي في قصيدته : " الأندلس المفقود " ، حيث يستدعي شخصية طارق بن زياد رمز البطولة في زمن الفتوحات وهو الرمز المفتقد في الزمن الحاضر ، زمن الضعف والعجز والتشتت العربي ، وكأنه يريد أن يؤكد أن التاريخ يعيد نفسه ، ذلك أن الأحداث التي سببت في إضاعة العرب للأندلس هي ذاتها أو شبيهة بها التي تسببت في الزمن الحاضر في ضياع فلسطين ، واستباحة أكثر من بلد عربي ، لبنان والعراق ، يقول في خطاب رثاء يردد إيقاع الفاجعة لضياع الأندلس والمأساة :

يا أندلس

يا درة العقد الفريد

يا واحة الظمآن

في الماضي التليد

يا جنة غصبت

وخازنها سقيم

أبكيك ما ناح الحمام

ومشى الصغار إلى المنام [1]

فالأندلس الضائعة تمثل الجرح العربي ، الذي لا يزال ينزف في الذاكرة العربية كما في الوجدان العربي وقد انضافت له جراح أخرى في هذه الأزمان الحديثة ، الجرح الفلسطيني ، الجرح اللبناني ، الجرح العراقي ، مما أسهم في تفاقم أزمة الوضع العربي .

٣ – البحرين لؤلؤة الخليج :

يحتفي الشاعر محمد بن علي السنوسي بالبحرين في قصيدته : " لؤلؤة من الخليج " لما تركته زيارته لها من أثر في نفسه أنطقه القول شعراً يمتزج فيه العشق بالحنين ، يقول ممجداً ماضياً ومشيداً في الآن ذاته بمنجزات حاضرها ،

---

(١) الصهيل نحو الدائرة ، عبد الرحمن بن معيض آل سابي الغامدي ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٢١ هـ ، ط ١ ، ص ٣٩ .

الناجمة عن الثورة النفطية بعد أن كانت الواردات تقصر على عائدات اللؤلؤ والعطورات ، يقول :

ما بين كاظمة وبين زرود ... والمنذر العملاق والجارود
أطرقت أصغي للخليج تهزه ... نغمات طرفة وارتجازلبيد
والبحر تلثمه الرياح فينثني ... باللؤلؤ المنثور والمنضود
والمسك من دارين معطار الشذا ... يهفو النسيم به ونفح العود
و (السفن) تبحر والضفاف يزينها ... عزف القيان وزغردات الغيد
منشورة الأعلام يحدوها الرجا ... بالله وهو لها أجل رصيد
و (اليوم) فوق الموج يملأ قلبه ... حشد من الأنغام والتغريد
يختال في عرض الخليج بفتية ... سمر أشداء النفوس حديد
حتى تفجر في شرايين الثرى ... نفط تدفق في الثرى والبيد
فاهتزت الدنيا ولف أديمها ... عصر من الإبداع والتجديد
عمر الخليج بحاره وصعيده ... بالفيض فيض تقدم وصعود [1]

٣ – أبو ظبي : الجمال والحضارة :

يصور ذات الشاعر جمال أبو ظبي ، في قصيدته " أبو ظبي " ، والتي يتغنى فيها بجمال نسائم هذه المدينة وشطآنها وصفاء طبيعتها ، مما يطيب معه العيش بها ، يقول :

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد على السنوسي ، ط ٢ ، ديوان نفحات الجنوب ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م – ص ٧٧٨ – ٧٨١ .

(رفقاً بقلبك من ظباء (أبو ظبي) فالسحر في تلك المحاجر مختبي
وحذار من تلك العيون فإنها لتعيد قلب الشيخ يخفق كالصبي
اسرفت في عجبي فحين رأيتها ملأ الهوى قلبي وزاد تعجبي
يا حلوة العينين حسبي من هوى عينيك تسهيدي فغني واطربي[1]

٤ – دمشق : العشق والحنين :

تحضر مدينة دمشق مدينة عشق وحنين في قصيدة " دمشق " للشاعر عبد الله الزمزمي ، حيث يصور معاناة عشقها ، في قوله :

كم يا شام دفنت فيك عتيقاً من جور أحزاني وسرت طليقا
غلب الهوى أمري وأضناني النوى فذرفت دمعي واحتسيت الريقا
أو تسألين عن اسم من أحببتها ؟ ودمشق زنبقة تشب حريقا
تغتالني الكلمات حين أقولها فيزيد وجهي رونقاً وبريقا
الشعر في لغتي شموس مغارب فإذا ذكرت الشام صار شروقا
يا شام حنجرة الغناء جريحة وأنا أغرد عاشقا مشنوقا
أين الرسائل يا دمشق ؟ لطالما حمل البريد منمقا وأنيقا
أفنيت في قربي إليك قصائدي وكتمت جرحا من نواك عميقا
يا قاتل الله الفراق فإنه سيف يمزق في الحشا تمزيقا[2]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٨٥ – ٧٨٦ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، نادي الباحة الأدبي ، ١٤٣٥ هـ ط ١ ، ص ٩٩ – ١٠٠.

٥ – القاهرة : عبق التراث والتاريخ :

يخص الشاعر غازي عبد الرحمن القصيبي مدينة القاهرة بقصيدة " رسالة وداع " يعبر فيها عن معاناة فراقها بعد أن أقام بها وألفها مكاناً وسكاناً ، يقول:

عجبا ! أرحل لا أظفر حتى بالدموع

ويله هذا الغريب

حيثما تقفر دنياه فلا طيف حبيب

دامع العينين .. مشبوب الأسى يوم الفراق

سرت وحدي ! !

وبعيني ظلال من نجوم

بعد أن قلبت عيني

بين آلاف الوجوه

لم أجد من جاء يومي من بعيد

من يقول

يا حبيب الروح ! ما أقسى الفراق ! [١]

---

(١) البراعم ، غازي القصبي ، سبق ذكره ، ص ١٩٤–١٩٥ .

٦ – تونس الخضراء : السحر والجمال :

يخص الشاعر عبد الله باشراحيل تونس بقصيدة " يا تونس الخضراء " يتغني فيها بجمالها الأخاذ الذي فتنه فصار لها عاشقاً مولها ، يقول :

خضراء ... يا فتانة الأقمار ... يا قبلة الرواد والزوار
ما كنت أعلم أن حبك آسر ... تحتار فيه بدائع الأشعار
حتى أتيت وبي إليك تشوق ... كتشوق الأطيار للأزهار
فرأيت فيك عوالماً فتانة ... من حسنها كم ألهمت أفكاري
هذي رباك الوارفات ظليلة ... ومن الجمال تأزرت بإزار[1]

٧ – الدار البيضاء : عروس المحيط الأطلسي :

تحضر مدينة الدار البيضاء المغربية في قصيدتين ، الأولي بعنوان " المغرب الأقصى " لمحمد بن علي السنوسي ، والثانية " فإنني مغربية " للشاعر : عبد الرحمن بن زيد السويداء .

يرسم الشاعر على السنوسي صورة مدينة الدار البيضاء نموذجاً لمدن المغرب الأقصى ، من خلال موقعها الجغرافي المشرق على المحيط الأطلسي وخاصة من خلال التاريخ العربي الإسلامي الضارب في القدم ، حيث يستعيد فتح موسي بن

---

(١) الأعمال الكاملة ، لعبد الله باشراحيل من ديوان " الهوى قدري " ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

نصير وطارق بن زياد للأندلس ، وعقبة بن نافع وجيشه على مشارف المحيط الأطلسي فضلاً عن حسان بن النعمان ، يقول :

تأملتها والذكريات يهزني صداها كما تهتز أمواجه رقصاً
يلوح بها الماضي كأن حياته متلفزة يرنو وينطق منتصا
كأني أرى موسى أمامي بخيله وأسمع وثب الخيل والركب والقمصا
وألمح ماضيها وأبصر طارقاً يخوض عباب اليمّ واليمّ قد غصا
وخطتبه كالرعد تقتحم الذرا وإيمانه لا يعرف الخوف والحرصا[1]

لقد تنوعت صور المدينة العربية وأشكال حضورها في الشعر السعودي حيث بدت المدينة السليبة : القدس والمدينة المستباحة بيروت ، والمدينة المغتصبة : بغداد والمدينة المقاومة للعدو الغاصب : الفلوجة و أسمرا والجزائر ، والمدينة المنكوبة : صنعاء ، ومدينة العشق والحنين : الأندلس ، البحرين ، دمشق ـ تونس الخضراء ، أبو ظبي ، الدار البيضاء . وهي أشكال حضور مثلت روافد إغناء وتنويع جمالي ودلالي في بنية القصيدة السعودية الحديثة والمعاصرة حيث كشفت عن تنوع منظور الشاعر السعودي للمدينة العربية ، بحسب خصائصها التاريخية والحضارية في الأزمنة القديمة والحديثة وطبيعة علاقته بها وتفاعله معها وجدانياً وشعرياً ، كياناً وبياناً ، غير أن الشعراء السعوديين تجاوزوا

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ديوان الينابيع ، ص ٦٣٩ – ٦٤٠ .

تصوير مدنهم السعودية والعربية إلى تصوير عدد من المدن الأجنبية ، التي زاروها وكان لها أثر في نفوسهم أنطقهم القول الشعري .

ج – المكان : المدينة الأجنبية :

إن رصد الباحث للمكان / مدينة أجنبية لم يجعله يقف عند نماذج كثير ممثلة لها في الشعر السعودي المعاصر ، وذلك مقارنة بنظيرتها العربية وبالأساس السعودية ، ورغم كثرة أسفار الشعراء للبلاد الأجنبية .

ففي قصيدة تحمل عنوان " في مراوي " للشاعر محمد بن عائض القرني نلمس تغنياً بهذه المدينة الفلبينية ، بمظاهر جمالها الطبيعي ، حيث تكسوها الخضرة ويحيط بها نهر ساحر وتزينها الأزهار والورود ، يقول :

ذاك سحر من البهاء وفن ... تم حسناً بقدرة الخلاق ! !
بلدة تزدهي كأن عليها ... بسمة البشر في فم المشتاق
بين خضر من الرياض وحمر ... من ورود بمائها الرقراق
بسط النبت فوقها فتغشت ... كل غصن منمق الأوراق
نهرها العذب يستدير ببطء ... كافعوان مطبق الأشداق
أبدع الله صنعها وحباها ... ثوب حسن يفيض بالإشراق[1]

---

(١) حين تسير القافلة ، محمد بن عائض القرني ، نادي الطائف الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ص ١٢١.

ثـم يخـص الشـاعر بحـيرة هـذه المدينـة ذات السـحر الفـاتن بقصـيدة عنوانهـا " في البحيرة " وقد نقـل فيهـا إعجابـه الشـديد بمـا شـاهده مـن علـى زورق كـان يطـوف بـه في الـبحيرة مـن منـاظر طبيعيـة خلابـة ، وهـي علامـات دالـة علـى كمـال صـنع الخالق للطبيعة والكون ، يقول :

يـــا رحلـــة قـــد أمتعـــت نـــاظري ... في زورق منطلـــــــق بـــــــاهر
يختـــال فـــوق المـــاء مـــن تيهـــه ... والمـــوج يـــدني عنـــق الصـــاغر
يخـــــترق المـــــاء ولا ينـــــثني ... كالســـــهم أو كـــــالطلق العـــــابر
يطـــوي ثنايـــا البحـــر مستبســـلا ... في عزمـــــة المجتهـــد الصـــابر[1]

ثـم يضـيف محتفيـا بكـل مـا أعجبـه مـن منـاظر جمـال طبيعـي ، ومعـبراً عـن شـدة إعجابه بها :

مـــا هـــذه الجنـــات قـــد زانهـــا ... ربـــي بـــأوفى جـــوده الـــوافر
تحـــيط بـــالبحر علـــى طولـــه ... كمـــا يحـــيط العـــش بالطـــائر
مـــا شـــئت مـــن روح ومـــن راحـــة ... ومـــن بهـــاء شـــامل غـــامر
مـــا قـــد رأى النـــاس ومـــالم يـــروا ... مـــن ثمـــر أو مغـــدق زاهـــر
جـــداول تجـــري زلالاً علـــى ... بســـاط وشـــي نـــاعم نـــاظر
إذا ســـرى فيهـــا النســـيم انجلـــت ... كآبـــه المغـــترب الحـــائر[2]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

وهما قصيدتان تشتركان في طابعهما الرومانسي ، من خلال تغني الشاعر بجمال طبيعة هذه المدينة الفليبينية " مراوي " ، والتي يبدو أنه زارها في سياحة ، فأوحى له جمال طبيعتها قوله الشعري ، بتأثير من جمال المكان الطبيعي ، وهو مذهب تقليدي في الكتابة الشعرية ، ضارب في القدم في الشعر العربي القديم ، مشرقا كما في عدد من قصائد ابن الرومي ، ومغربا وأندلسا ، كما في قصائد ابن المعتز وابن خفاجة وابن زيدون ، وغيرهم من الشعراء الذين تغنوا بجمال عدد من مدنهم .

أما الشاعر عبد الله باشراحيل ، فنجده يخص المدينة الأجنبية بقصيدتين ، الأولي بعنوان " لندن " والثانية بعنوان " فوكلاند " ، حيث يعبر في الأولى عن عدم إعجابه بمدينة لندن ، وتفضيله موطنه مكة المكرمة عليها ، من حيث جمال طبيعتها ، وشموخ تاريخها القديم والحديث ، وطيبة أهلها ورفعة خلقهم ، يقول :

جئتها أحمل عن أفيائها ... صورا تملأ عقلي وخيالي
فإذا بي عندها في سأم ... واكتئاب ، وانفعال وملال
أينما وجهت طرفي صور ... من لياليها ويا بؤس الليالي
أجمال ؟ ... أين منها موطني ... مكة الفيحاء ، ينبوع الجمال
وهي من تدري شموخ خالد ... حرر الإنسان من كل عقال
وطن العز ... وساحات العلى ... قلعة الإيمان في وجه الضلال

فلنـدن بـدت مدينـة سـلبية ومبعـث ضـجر الشـاعر وسـبب مللـه ورمـز المبتـذل مـن القـيم والمتهافـت مـن أنمـاط السـلوك والحيـاة ، لـذلك كـان حاضـراً في لنـدن جسـدا والروح نابضة بالحب لمكة والحياة في ربوعها ، يقول :

أنـــافي لنـــدن أهفـــو لربـــى مكـــة للنـــور في تلـــك الجبـــال
أيـــه يـــا لنـــدن : يـــا غانيـــة زورت حـــبي ومـــا نالـــت خصـــالي
أنـــت لـــو تـــدرين مـــن نحـــن هنـــا ؟ إخـــوة في الله مـــن خـــير الرجـــال
نحـــن للصـــدق وللحـــب بنـــا شـــغف يبقـــى علـــى طـــول الليـــالي
فابعـــدي لنـــدن عـــن ســـاحاتنا واتركينـــا ودعينـــا للمعـــالي[1]

فصـورة لنـدن هـي تلـك المدينـة المعاديـة مـن منظـور الشـاعر عبـد الله باشـراحيل ، مدينـة المبتـذل مـن القـيم والأخـلاق والسـلوك مقارنـة بمدينـة مكـة مـوطن الشـاعر المدينـة الرمـز المقـدس الـديني والرفيـع مـن الخلـق والأصـيل مـن القـيم والتليـد مـن المجد والتاريخ والجمال .

أمـا القصـيدة الثانيـة والموسـومة ب " فوكلانـد " وجزيـرة فوكلانـد جزيـرة متنـازع عليهـا بـين الأرجنـتين وأنجلـترا ، وهـو النـزاع الـتي عمـدت بـه دول أوروبـا وأمريكـا إلى مناصـرة انجلـترا بالعـدة والعتـاد ... وضـربوا حصـاراً بحريـاً وجويـاً على الجزيرة . وحلوا النزاع بالطرق السلمية ، يقول :

" فوكلاند " يا أقصوصة في الناس قد أضحت مثيرة

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، ص ١٣٦ – ١٣٧ – ١٣٨ .

هلا رأيت الإنجليز تسودهم حرب العشيرة

والليث يهدر من بعيد و الضواري مستجيرة

تخشى على أبنائها .. تخشى من الحرب المثيرة

إنجلترا قامت قيامتها وأمريكا نصيرة

أسطولها عبر المحيط وقد توقف في بحيرة

والجند في حشد كثيف ... بالمدافع والذخيرة

ضربوا عليها عزلة لا يرسلون لها شعيره

كل الحلول تعثرت والغرب في وهم وحيرة [1]

ثم يقارن بين ما أثارته قضية جزيرة فوكلاند من أهمية في مختلف الأوساط العالمية وما يقابل به الغرب وأمريكا قضية القدس من إهمال وتغافل ومماطلة تحول دون إيجاد الحلول السلمية للقضية الفلسطينية ، يقول :

ماذا ؟ لأجل جزيرة ... تمضي لها الدول الكبيرة ؟ !

والقدس تنتظر الحلول ... فهل مجير أو مجيرة

مكثت وفي أحشائها غم ، وآلام كثيرة

---

(١) المصدر السابق ، ٢٤٠ .

حملوا إليها مشعلا بين الدماء يمدّ نوره

وتجلدوا رغم الضحايا صامدين بكل غيره

ويختتم الشاعر عبد الله باشراحيل قصيدته بإبداء موقف تعجبه واستغرابه من كيل الدول العظمي بمكيالين في القضية الفلسطينية ، مما ينافي قيم الحرية والديمقراطية والمساواة التي ينادون بها بين البشر بين الدول ، يقول :

ما أعجب الدنيا وما أعمي البصائر ، والبصيرة

القدس تندب حظها من ربقة الأسر المريرة

والعدل غيب كالضمائر والحلول بدت عسيرة

هيهات ما أخزاهم فالقدس ما عدلت جزيرة [1]

إنه موقف إدانة للغرب الأوروبي وأمريكا والعالم ، لتقاعسهم عن حل القضية الفلسطينية ، بسبب الانحياز إلى دولة إسرائيل دفاعاً عن بقائها وحماية لها ولمصالحها .

٣ – المكان الوطن :

احتل الوطن مساحة كبيرة جداً في شعر الشعراء السعوديين الذين تغنوا وأغنوا الساحة الشعرية بالمملكة العربية السعودية ، فافتخروا به وحنوا إليه وترنموا

---

(١) المصدر السابق ، ٢٤١ .

بأمجاده وخلدوا مآثرة ومدحوا قادته ، فالوطن بالنسبة إليهم ملاذ أرواحهم وحصن أنفسهم ومكان آمالهم وأحلامهم .

ففي قصيدة ، " الوطن في عيوني " يرسم الشاعر حمزة الشريف صورة مشرقة للوطن ، من خلال تمجيد عراقة تاريخه والإشادة بمعالمه الدينية وبجمال طبيعته وازدهار حضارته في الزمن الراهن ، في خطاب شعري يكشف عن قوة وشائجه به ، رمز الانتماء أرضا وناساً ، يقول :

احتواك الفؤاد يا نبض روحي ... يا حروفاً وبلسما للجروح
أنت يا موطني ضياء عيوني ... ومكان إشراقه للطموح
وعليه الوقار من مهبط الوحي ... ومن نجد في عاليات السفوح
معرق في التراث بل أنت سفر ... يرسل العطر في سما كل روح
يا مغاني الجمال من كل وادي ... يا ملاذاً ومقصداً للعباد
يا سليل الأمس الأصيل ويوم ... يستقى المجد من عيون الرشاد
يا بلادي وأنت نور وذكرى ... لنبي إلى المحجة هادي[1]

ويشكل الشاعر إبراهيم مفتاح في قصيدته " وطن على صدور الأوسمة " ذات الصورة المشرقة للوطن ، حيث يؤكد على ذات الخصائص المتصلة بعراقة تاريخه البطولي والديني ، وقداسة أرضه مهبط الوحي ، والرقي الحضاري لحاضره ، في خطاب ذاتي يعكس عميق عشق له ، يقول :

---

(١) ديوان " عطر تهامي " ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٥٦ – ٥٧ .

هـــذي المفـــاتن في عينيـــك تـــأتلق وفي لحاظـــك هـــذا الســـحر والألـــق
وفي ثـــراك مـــن التـــاريخ أوسمـــة تلملـــم الشـــمس أعراســـاً وتنطلـــق
فأنـــت يـــا مـــوطني مـــاض يعانقـــه زهـــو البطـــولات والإشـــراق والعبـــق
وأنـــت في حاضـــر تكســـوه أجنحـــة علوهـــا مـــن بيـــاض الصـــبح ينبثـــق
يغـــازل الفجـــر في عينيـــك أغنيـــة ويزدهـــي في ســـماك الليـــل والشـــفق
دعـــني أقبـــل ظـــلا فيـــك أنبـــتني وفي ترابـــك بالخـــدين ألتصـــق[1]

ويؤكـد الشـاعر مسـفر العـدواني ذات صـفات المجـد الـتي يتسـم بهـا الـوطن ماضـياً وحاضـراً ، وذات الأبعـاد القدسـية والقـيم الأخلاقيـة الأصـيلة لأهلـه علـى مـر التـاريخ ، ممـا جعـل وشـائجه بـه قويـة ، إذ هـو رمـز هويـة ، وملـهم قولـه الشـعري ، يقول :

لـــك أيهـــا الـــوطن الحبيـــب عطـــائي لـــك مهجـــتي ومحـــبتي وولائـــي
لـــك مـــن ربيـــع الشـــعر كـــل قصـــائدي مكتوبـــة بمشـــاعل الأضـــواء
فرضـــاك أرضـــي والنخيـــل مشـــاعري ونـــداك شـــعري والحـــنين ســـمائي
يـــا مـــن لـــه في المجـــد أسمـــي ســـيرة يســـمو بهـــا في القمـــة الشـــماء
ولـــه علـــى مـــر العصـــور قداســـة ولـــه وفـــاء فـــاق كـــل وفـــاء

(١) ديوان رائحة التراب ، إبراهيم مفتاح ، سبق ذكره ، ص ٨ .

ســـتظل يـــا وطـــن المكـــارم شـــامخا نحـــــو العـــــلا في وارف النعمـــــاء
فأمـــان أهلـــك يـــا الحبيـــب ســـعادتي وأمـــان أرضـــك يـــا العزيـــز غنـــائي[1]

ثم يشيد بمجد الوطن ماضياً وحاضراً في قصيدته : " هنا لنا وطن " ، حيث يؤكد على عمق ولائه له أرضاً وناساً ، وعلى فشل كل الكائدين والخونة والحساد في النيل منه ، أمناً واستقرارا ومناعة ، يقول :

هنـــا لنـــا وطـــن نحيـــا لخدمتـــه لأنـــــه في ربيـــــع القلـــب معمـــــور
الخـــائنون أفـــاع لا أمـــان لهـــم تفكيرهـــم بلـــهيب الغـــدر مـــأمور
الحاقـــدون علينـــا عيشـــهم نكـــد فالحقـــد في نهجهـــم ظلـــم وتـــدمير
العـــابثون حيـــارى لا قـــرار لهـــم وأنـــت يـــا وطـــن الأحـــرار منصـــور[2]

ويقرن الشاعر ماجد بن عبد الله الغامدي صورة الوطن بالسلام ، في قصيدته : " وطن السلام " ، يتغني فيها بالأمن والرخاء ، الذي يسود وطنه الذي اختار الشريعة الإسلامية منهاج سياسته ، مما مكنة من الرقي في مختلف مجالات العمل والحياة ، وأفشل كل المكائد والدسائس ، التي كان يحوكها الأعداء له ، ويشيد ببطولة أبناء وطنه في الدفاع عنه ضد الأعداء ومؤامراتهم ، يقول :

مـــاذا يريـــد الغـــرب مـــن وطـــن الســـلام بـــل مـــا يـــروم الخـــف مـــن رأس الســـنام

---

(١) جمر الأنين ، مسفر العدواني ، سبق ذكره ، ص ٦٣ – ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

وطـــني تعـــاظم منعـــةً وحميـــة وطـن الهـدى والحـق والبيـت الحـرام
وطـن يسـير علـى الشـريعة منهجـاً وطـن تسـامى في هـدى خـير الأنـام
وطـــن الســـلام سياســـية وترفعـــاً أرض الأمـان رياضـها تهـب الخـزام
وطـــن تســـامى عـــن تخـــبط حاقـــد وكـــذا يكـــف عـــن الملاســـنة الكـــرام
في كـــل يـــوم يفـــترون مزاعمـــا ! في كـــل حـــين نتقـــي شـــر الســـهام
فالســـلم يجـــري في الـــدماء محببـــة لكننـــا أن جـــاء يـــوم ذو جهـــام
نســـقي المنـــون لغاشـــم متربـــص وتـــرى المنيـــة بأســـنا والمـــوج طـــام[1]

ثـم يجعـل ذات الشـاعر ماجـد الغامـدي الـوطن موضـوعاً لملحمـة شـعرية خصـه بهـا بعنـوان " ملحمـة الـوطن يـا موئـل الأمجـاد " اسـتعرض فيهـا مجـد الـوطن التـاريخي ، وقداسـته الدينيـة ، مهـبط الـوحي ، وموطنـا للبيـت الحـرام ، وأرضـا للسياسـة الحكيمـة لآل سـعود ملوكـاً وأمـراء ، ويؤكـد في كـل ذلـك وفـاءه للـوطن أرضـاً وحكامـاً ، واستعداده لفدائه ، أن اقتضت الظروف ذلك ، يقول :

يـــا موطنـــاً تهفـــو لـــه أرواحنـــا عشـــقا فلـــيس كمثلـــه الأوطـــان
يـــا موطنـــاً جمـــع المعـــالي جمـــة لم يحوهـــا أبـــد الـــدهور مكـــان
ســـتظل أرضـــي لا تـــدين لخـــائن فـــالأرض بكـــرو المكـــان أمـــان

(١) ديوان حيث مر الغيم ، ماجد بن عبد الله الغامدي ، ص ٧٥ – ٧٦ .

ولســوف يســتبق الخــوارج حــتفهم فلكـــــل شـــــر موعـــــد وأوان
فالعهــد أن تــروى الــتراب دماؤنــا بـــذلا فلـــيس بصـــفنا خـــوان[1]

وتتـواتر قصـائد الاحتفـاء بـالوطن ، والإشـادة بتاريخـه الماضـي وبإنجازاتـه في الـزمن الحاضـر ، في مختلـف مجـالات العمـل والحيـاة ، مـع التأكيـد علـى منزلتـه الرفيعـة في وجـدان الشـعراء ، والحيلولـة دون مـا مـن شـأنه أن يهـدد أرضـه أو يعكـر صـفو شـعبه في زمـن تتزايـد فيـه التهديـدات ، ومنهـا الإرهـاب . وهـو مـا يعـبر عنـه الشـاعر عبـد الملـك عـواض الخديـدي ، في قصـيدته : " وطـن بـدون إرهـاب " في قوله:

مـــا هـــذه الأعمـــال غـــير ســـحابة ملئـــت مـــن الاحقـــاد والأنشـــاب
صـــبت حميمـــاً في الـــبلاد فصـــدها شـــعب أبـــي طـــاهر الأثـــواب
أحفـــاد أصـــحاب الرســـالة وحـــدة فضـــل العظـــيم مـــدمر الأحـــزاب
في الله لا يخشـــون كـــل مخـــرب بالحقـــد أضـــحى كاشـــر الأنيـــاب
إنـــا ســـعوديون لا نخشـــى ســـوى رب الأنـــام مســـبب الأســـباب
ديـــن الحبيـــب محمـــد نهـــج لنـــا ديـــن بـــريء مـــن صـــدى الأكـــذاب[2]

هـي قصـائد وطنيـة تشـترك في رسـم صـورة مشـرقة للـوطن ماضـياً وحاضـراً ، وفي التعـبير عـن رفعـة منزلـة الـوطن في نفـوس أبنائـه عامـة والشـعراء خاصـة ، يقـول

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٢) نفحات في نصرة الحق ، عبد الملك بن عواض الخديدي ، سبق ذكره ، ص ٣٧ .

الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدته : " أحبك يا بلادي " ، في خطاب انفعالي صادر عن حب كبير للوطن أرضاً وناساً ، وتاريخاً ، وحضارةً ، راهناً وماضياً:

هفهفي اليوم يا زهور بلادي فوق تلك الربى وشم النجاد
وارسلي العطر من شذاك يغني بربيع الندى وصفو الوداد
وأشرقي فالرضى عليك تهادى فاستبنا مشارف الأعياد
يا سعوديتي وأنت ملاذي طول عمري ، وكعبة القصاد[1]

غير أن الشعراء السعوديين وهم يرسمون هذه الصورة المشرقة للوطن ، لم ينسوا الموطن ، الذي خصوه بالكثير من نصوصهم الشعرية ، باعتباره رمز هوية وانتماء .

٤ – المكان القرية و الموطن :

تقوم القرية – المكان – مقابلا للمدينة – المكان – وذلك بحكم اختلاف مجتمعها وأنماط حياة أهلها عما يسم سكان المدن ، وذلك أن مجتمع الريف تسوده العلاقات الأولية ، هذه العلاقات المنبثقة أساساً من حياة الريف ، كما تسوده الرقابة الأولية ، حيث الأفراد معروفون للجميع ، وتقوم فيه الاتصالات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد على أساس البعد أو القرب وأهل الريف أكثر تجانسا ، ولهم خصائص نفسية تميزهم عن الحضريين ، كالتمسك

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

بالقواعد الأصلية للسلوك الجمعي والعرف ، وهم أكثر إيماناً بالقضاء والقدر ، مما قل نسبة الأمراض العصبية والعلل النفسية في القرية عما هي عليه في الحضر ... وكل ذلك نقيض لخصائص المجتمع المدني ، الذي يبرز الفردية وسرعة التحرك الاجتماعي وعدم التجانس وتمزق العلاقات الروحية . [1]

تلك تقريباً بعض السمات الدالة على المجتمع ، الذي نزح منه الكثير من الشعراء السعوديين إلى المدن ، فجاء على إثره حنينهم إليه ، وهو الحنين الذي تواتر في الكثير من القصائد الشعرية ، نمثل لها ب " الليل في الريف " لمحمد ابن علي السنوسي ، والتي يصوغ فيها حنينه لموطن الصبا ويتغني بجمال الريف ليلاً حيث السكينة ، يقول :

الليل في الريف غير الليل في المدن فافتح ذراعيك للأرياف واحتضن
واستقبل الليل فيها إنه ملك ضافي الجناحين يغري العين بالوسن

كأنه فيلسوف مطرق عجبا مما يرى في حياة الناس من درن
أو شاعر عبقري الفكر منغمر في لجة الوحي لا يدري عن الزمن
أو خاطر في ضمير بات منفصلا بطهره ومزاياه عن الإحن

(١) علم الاجتماعي الأدبي ، حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ ، ط ١ ، ص ١٦٠ .

أو عاشـــق غـــارق في حـــب فاتنـــة فلـــيس يعنيـــه شـــيء كـــان أو يكـــن
صـــمت يحلـــق بـــالأرواح في أفـــق مـــن الســـكون ثـــري بالجمـــال غـــني [1]

وذات الصـورة الجميلـة والمشـرقة يرسـم معالمهـا ذات الشـاعر في قصـيدته : " سـاعة في الريـف " مـن ديـوان ، " القلائـد " ، حيـث تمثـل منـاظر الطبيعـة الغنـاء وانفتـاح الأفق سبيله للخلاص من كل أشكال توتره النفسي ، يقول :

سـاعة في الريـف في حضـن السـهول والرمـال السـمر و الأفـق الكحيـل
والفضـاء الرحـب مبسـوط المـدى والهـواء الطلـق رفـاف الـذيول
بـين أرض وسمـاء وربـى وزهـور وغـدير وخميـل
حيـث لا سـور ولا دور ولا حـائط يمنـع سـيري في سـبيل
تلـك دنيـا سـرح آفاقهـا حـرة مـن كـل قيـد وكبـول
أنـا أشـتاق إليهـا كلمـا سـئمت نفسـي أحاديـث الفضـول[2]

والواقـع فـإن القصـائد الـتي خصصـها هـذا الشـاعر لتمجيـد الريـف والـتغني بجمالـه الطبيعـي ومناخاتـه وعواملـه عديـدة ، كـ " أغنيـة فيفـاء " [3] ، " وحسـناء الريـف " [4]، كمـا مثلـت القريـة موضـوع العديـد مـن القصـائد ، الـتي تغنـى فيهـا أصـحابها

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، سبق ذكره ، ص ٦٥٥ – ٦٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٤١٢ ، ٤١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ .

بمعالم جمالها وأفضليتها على معالم المدينة ، من ذلك قصيدة " صباح القرية " للشاعر علي بن محمد بن عبد الله الزبيدي ، وفيها يتغني بجمال قريته / الموطن " الحدبة " صباحاً ، يقول :

عند نور الصباح يحلو اللقاء ... ويجلّي الجمالَ فيها الضياء
حين يغدوللطير فيها نشيد ... جاوبته سهولها الخضراء
أصغ للصوت أي لحن فريد ... إذ يجلّيه في البكور الثغاء
فالربا الخضر حولها مهرجان ... يسعد النفس واللغات ثناء[1]

أما خليل إبراهيم الفريع فيتغني – هو الآخر – بـ " الجشة " قريته وموطنه ، واصفا جمالها الطبيعي وعشقه لها وحنيته إليها كلما فارقها ، يقول في قصيدته : " حنين عاشق " :

قلبي يحن إليك ما ترى السبب ... يا غادة ينتشي من ذكرها الطرب
والذكريات تناديني وتقذف بي ... في لجة الشوق شوقي نحوك العجب
شربت حبك في صغري وفي كبري ... فما ارتويت وإن طالت بي الحقب
في مثل حبك لم أعرف سواك جوى ... تجري دمائي به والقلب يضطرب
الجشة الحب تغريني مفاتنها ... يزفها محتد للمجد ينتسب[2]

---

(١) أطلال المجد ، علي عبد الله الزبيدي ، سبق ذكره ، ص ٦٣ .

(٢) وشم على جدار القلب ، خليل إبراهيم الفزيع ، سبق ذكره ، ص ١٤ – ١٥ .

ومثل ذلك العشق والحنين يخص به الشاعر حمزة الشريف قريته الموطن ؛ " شدا " ، فيقول : في قصيدة " " رسالة إلى شدا " :

حدث شدا عن أماسي الجود والكرم حدث عن الأهل من حب ومن شيم
يا مولعا بدروب العشق تزرعها هذي مدينة أصل معرق الشمم
هنا تطل لك المخواة جوهرة تحدرت من أصول الأمس والقدم
مخواة يا ربة الإلهام فيك ثوى ومنك يصدر قول المبدع النهم[1]

ويتغني الشاعر حسن محمد حسن الزهراني بربوع " بيضان " إحدى قرى قبيلة زهران ، ذلك في قصيدته : " ربى بيضان " ، من ديوانه : " مرافىء الوجدان " ، حيث يقول عاشقاً مودعاً بيضان :

ربى " بيضان " يا أحلى البقاع أودع مقلتيك وذا وداعي
تركتك مجبرا يا عطر شيح ويا نغم تزين للسماع
تركتك والعيون بها دموع تكاد تسيل من جور التياعي
رحلت وفي الفؤاد إليك شوق وكم عانى الفؤاد من الصراع
لقد أرويت قلبي شهد حب وكم أرويته خير الطباع
وكم غذيت روحي من وداد وأكرم بالجميل من المساعي[2]

(١) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٥٣ .

(٢) مرافئ الوجدان ، حسن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ٧٣ .

ويمجد الشاعر محمد بن عائض القرني موطنه " بلقرن " ، في قصيدة تحمل ذات العنوان ، حيث يتغنى بمظاهر جمالها الطبيعي ويشخصها أدبياً بأن يشبهها بالحسناء الفاتنة ، يقول :

تزينت فهي ياقوت وعقيان ... هذي الربوع استوى سهل وبستان
نور الربيع كوجنات الحيي ، على ... أكمامه زانه وشي وألوان
طبيعة أحسن البارى فزينها ... ربوعها جنة ريا وبستان !
ما شئت من منظر زاه وطيب ندى ... حيث اتجهت بها روح وريحان
ما أبدع الله من نبت ومن شجر ... إلا وكان لها من ذاك صنوان[1]

والحنين إلى الريف – وإن كان ضربا من الحنين إلى الوطن – فإنه يحمل معاني القلق والضيق وعدم الارتياح في المدينة ، وما يلقاه الشاعر الريفي في مجتمعها من صراعات شتى ، فيهرب الشاعر تارة في الواقع ، وأخرى في الخيال إلى قريته بسماتها الإنسانية ، وتظل القرية واحة يفيء إليها من الوهج والهجير والقحل المديني حتى ولو صارت حياة القرية بطيئة الإيقاع .[2]

وهو الحنين الذي نمثل له بقصيدة : " حنين إلى عنيزة " للشاعرة بدرية بنت إبراهيم عبد العزيز السعيد ، حيث تصور حنينها إلى موطنها " عنيزة " ،

---

(١) حين تسير القافلة ، محمد بن عائض القرني ، سبق ذكره ، ص ١١٤ .

(٢) المدينة في الشعر العربي المعاصر ، مختار علي أبو غالي ، سبق ذكره ، ص ٣٦ .

الـذي فارقتـه إلى مدينـة الريـاض ، الـتي أشـعرتها بـالاغتراب وبفقـدان أنسـها وسكينة نفسها ، تقول :

حنـــيني زاد في ليـــل الريـــاض إلى الأحبـــاب مـــن طـــول الغيـــاب
إلى مـــرأى الســـفوح جمـــال نجـــد لـــدى " الفيحـــاء " ســـارقة اللبـــاب
حـــنين لـــيس يرويـــه لقـــاء وشـــوق زاد شـــوقاً للهضـــاب
ونخـــل للأصـــالة كيـــف ينســـى وطلـــح مثلمـــا الشـــهد المـــذاب
ويســـتجلي الأصـــيل جمـــال أرض يفجـــر حســـنها وجـــه الـــتراب[1]

ويعـد هـذا الحـنين لـدى هـؤلاء الشـعراء السـعوديين – وغيرهـم كـثير – مظهـراً مـن مظـاهر الرومانسـية في شـعرهم مـن خـلال تغنـيهم بجمـال طبيعـة مـواطنهم وأريافهم وقراهم .

٥ – المكان الطبيعي :

مثلـت الأمـاكن الطبيعيـة علـى اخـتلاف أنواعهـا موضـوعاً مهمـاً مـن موضـوعات الشـعر السـعودي ، حيـث تناولهـا الشـعراء بالوصـف مشـيدين بمظـاهر جمالهـا وممجـدين تاريخهـا ، اسـتناداً إلى منزلتهـا في فكـرهم ووجـدانهم ، فوصـفوا الأرض : جبالها وسهولها ، ووديانها والصحراء وخصائصها والبحر وجماله .

---

(١) ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية ، سارة الأزورى ، سبق ذكره ، ص ١١٠ .

ففي قصيدة : " تماهي " ، للشاعرة فاطمة القرني تحضر " نجد " بجغرافيتها الطبيعية ، حيث تتغنى الشاعرة بجمال تلك الطبيعية ، مشبهة " نجد " بالحسناء وعلاقتها بها بعلاقة العاشق بمعشوقته في حالات الوصل كما الفصل والفراق ، وفي الواقع كما في الحلم ، تقول :

سلاما نجد ما غامت قلوب ... وما هامت على ظمأ قلوب
وما أحيا الأماسي من وجيب ... وما استعصى على آسٍ وجيب
وما طاب الحنين لذي اشتياق ... يجاوبه الصدى أولا يجيب
كلانا نجد ليلك واحترامي ... حميم في تدانيه غريب
شقي يهتنيه الناس ... لاه ... غوي اللحن تنكره الذنوب
نؤمل ألف عام سوف تأتي ... وألف بعد أن شاء الحبيب
نغني للحياة فما استكانت ... ذرى فجر ولا سكنت هبوب
كلانا يا حبيبة لا يبالي ... بعاص لا يثيب ولا يثوب [1]

خطاب عشق وشوق وحنين تخص به الشاعرة " نجد " وطبيعتها ، ليدرك مدى توحد الذات الشاعرة بنجد ، مما يعكس احتفاءها بالمكان الذي شخصته أدبياً ، حيث أضفت عليه صفات الأنثى الحسناء والفاتنة لرائيها وعاشقها ، ويخص الشاعر عبد الرحمن عبد الكريم العبيد " نجد " بقصيدة سماها باسمها ، فيتغنى بمظاهر جمالها الطبيعي ومجدها التاريخي ، يقول :

---

(١) عندما غنى الجنوب ، فاطمة القرني ، مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ، ص ٥٤ .

حـــي النجـــود تعملقـــت ... فكأنمـــا يســـتلهم التـــاريخ منهـــا المســـتقى
يـــروي نشـــيد المجـــد بـــين شـــعابها ليعيـــد للأحفـــاد عهـــداً مشـــرقا
حـــي الهضـــاب الشـــم تشـــهد أنهـــم نســـجوا ملامحهـــا قصـــيداً مونقـــا
لثمـــوا المنـــى في شـــعرهم وتمثلـــوا آمـــالهم عهـــدا رعـــوه وموثقـــا[1]

ب – الجبال :

أما الشاعر حسن محمد حسن الزهراني فيخص " جبال السروات " بقصيدة : " بيرق السروات " ، يتغنى فيها بجبل منور ، وهو جبل مرتفع يقع غرب قرية "القسمة " ، موطن الشاعر ، من حيث شموخه ومجده التاريخي ، حيث كان رمز بطولات خلدها التاريخ . وهو يشخصه أدبياً من خلال محاورته للتأكيد على مفارقة ماضي البطولات ، الذي يرمز إليه و حاضر العجز الذي يسم حال الأمة العربية الإسلامية اليوم ، يقول :

يا أيها الجبل الذي ما زلت تسخر من سفاهتنا

وتعجب من تفاهتنا

وترفض أن تقابلنا

بوجه من ضياء الصفح خال ..

ما زلت كالتاريخ

---

(١) ديوان ، في موكب الفجر ، عبد الرحمن عبد الكريم العبيد ، سبق ذكره ، ص ٩٦ .

ترقبنا بعين العطف

تنثر دمعك

الغالي على

إشراق ماضينا

وظلمة عصرنا الحالي

وطعم الجهل في أفواه

من ألفوه حالي ! ! [1]

ويتغنى الشاعر محمد بن علي السنوسي بجبل " فيفا " في قصيدته التي تحمل ذات الاسم من ديوانه " الأغاريد " بوصف شموخه وارتفاعه وجمال طبيعته الخضراء شجراً وزهراً ونباتات ، يقول :

(متحف) من أشعة وظلال في إطار من نضرة واخضلال
سابح في الفضاء يغمره النور بفيض من السنا و الجلال
يتحدى الذرى ويخترق السحب ويزهو في عزة واختيال

---

(١) أوصاب السحاب ، حسن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ١٠١-١٠٢ .

صـــنعه المبـــدع المصـــور جـــل الله ربـــــي رب العلـــــى والكمـــــال
(جبـــل) تعشـــق النجـــوم مجاليـــه وتصـــــــبو إلى ذراه العـــــــوالي[1]

أمـا الشـاعر حمـزة الشـريف فـيخص " تهامـة " بقصـيدة " تهامـة " بقصـيدة " عطـر تهـامي " ، حيـث يتغنـى بعطـر أرضـها ، وجمـال طبيعتهـا ، ممـا جعلـها تكـون مصدراً إلهام للشعراء ، وموضوع عشق يبوح به الشاعر في قوله :

عطـــر تهامـــة تســـقيه علـــى ولـــه وإنـــني منـــه مجـــروح ومســـلوب
هـل فـاح مـن ردن مـن هـام الفـؤاد بهـا أم فـاح مـن غابـة أوفـى بهـا الطيـب
أم أنـــه مـــن خبايـــا الغيـــب بـــاح بـــه لـــن تجشـــم عيشـــي وهـــو مكـــروب
تهامـــة يـــا رؤى الإلهـــام رافقـــني هـــذا الشـــذا ولـــه بالليـــل تأويـــب
تقـــول ربـــاه للآهـــات أغنيـــة وللـــذين تنـــاهوا في الهـــوى ذوبـــوا
وللـــذين رشـــاش العطـــر يأســـرهم خـــذوا البقايـــا ومـــن آهاتـــه توبـــوا[2]

ج / الصحراء :

وتحضـر الصـحراء في امتـدادها وجمـال طبيعتهـا وغنـى عناصـرها وعوالمهـا في الكـثير مـن القصـائد الشـعرية ، حيـث تغنـى بهـا الكـثير مـن الشـعراء السـعوديين ، مثـل عبـد الـرحمن بـن معـيض آل سـابي الغامـدي ، في قصـيدته : "جغرافيـة الصـحاري "

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، سبق ذكره ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٢) ديوان عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٦٦ .

، الـتي يصـف فيهـا خصـائص الصـحراء في هجـير نهارهـا كمـا في بـرد ليلـها ، في عطر نباتاتها كما في وحشة مساءاتها ، ورعب ليلها ، يقول :

هناك في الخلاء

حيث الصحاري واجمة

تستنشق الهجير

وتعشق الخزامى

وثورة الشعور

هناك في المساء

يزمجر السكون

وترقص السباع

وتعتدينا صورة

كصورة الحروب

هناك واللقاء

يزينه الصفاء

حيث القوافل تنتحب

تميط عن لثام

لتعلم الوجود

بأنها صبورة

من كثرة البكاء[1]

أما الشاعر محمد الثبيتي فيرسم صورة غنية جمالياً ودلالياً للصحراء في قصيدته : " أنغام من الصحراء " ، وثانيها بـ " النغم الثاني " ، " الشوق المهزوم " وثالثها بـ " النغم الثالث " ، " ديار سلمى " ، ففي النغم الأول يشيد بصفاء مشاعر الحب في الصحراء ، حيث الفطرة والعفوية وعنفوان الصدق ، مع الذات ومع الآخر ، يقول :

كنا نعيش الحب في الصحراء

وحي من السماء

رسالة فطرية

أنشودة عذراء

لا نعرف الرسائل الملونة

---

(١) ديوان الصهيل نحو الدائرة ، عبد الرحمن بن معيض آل سابي الغامدي ، جدة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢١ هـ ، ص ٥٧ .

والكلمات الحلوة المدونة

لا نعرف النفاق

ولم نمارس اللهو بتهريب العواطف

فالحب عندنا انطلاق

والعش عندنا انتماء

كموسم الرحيل

كنسمة الصباح ، كالأصيل

كالماء ، كالهواء [1]

د / البحر :

يحضر البحر فضاء أثيراً عند الكثير من الشعراء السعوديين فيكون موضوع وصف لمختلف عناصره الطبيعية ، وما تثيره في نفوسهم من مشاعر وانفعالات . ففي قصيدة " الموج والشاطئ " يصور الشاعر محمد علي السنوسي حوار الموج والشاطئ ، ويقرنه بحوار الإنسان مع ذاته في صراعه مع مختلف رغباته المتناقضة ، منذ الأزل إلى اليوم ، يقول :

ماذا يقول الموج للشاطئ في مده الهادر والهادي ؟

---

(١) ديوان محمد الثبيتي ، الأعمال الكاملة ، سبق ذكره ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

ومـــن تـــرى يعـــرف أســـراره مـــن كاتـــب منـــا ومـــن قـــاري

هيهـــات ذاك الســـر .. ســـر عميـــق

يختلـــف الليـــل بـــه و النهـــار والبـــدر كـــم هـــل بـــه واســـتدار

والشـــمس كـــم دارت بهـــذا المـــدار وكـــم هـــوت تجـــري بـــداك القـــرار

تجـــري ولا تعلـــم أيـــن الطريـــق[1]

ويتغنـى غـازي عبـد الـرحمن القصـيبي بالشـاطئ ، وجمالـه في قصـيدته : "الشـاطئ " والتي يستعيد فيها عددا من ذكريات صباه ، يقول :

أيا الشاطئ جئناك

بأشواق صبانا

ضمنا يا حلم قلبينا

وبارك ملتقانا

ودع الأنجم ترعانا ...

وتصغي لخطانا

ومر الأمواج أن

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد علي السنوسي ، سبق ذكره ، ص ٥٧٥ ، من ديوان " ينابيع "

تعزف ألحان هوانا [1]

ويقترن الشاطئ في قصيدة " أغنية الشاطئ " ، لحمزة الشريف بالعشق والحلم والذكريات ، في قوله :

لشاطئ الحب عاد القلب ثانية إلى الأصيل لإلهامي وأوهامي
غنت رياح الأماسي لحنها فمحا من الفؤاد جراحاً نازفاً دامي
ما غبت عن شاطئ الأحلام أهجره ففيه أحلى خيالاتي وأحلامي[2]

ويمثل البحر الملاذ والخلاص للشاعرة حصة إبراهيم محمد العمار ، حيث تناديه في قصيدتها ، " يا بحر " :

أيا بحر أنت السفير لروحي وأنت خدين جروحي[3]

تلك هي أبرز الأماكن الطبيعية التي يركز عليها العديد من الشعراء السعوديين متمثلة في السهل والجبل والبحر ، وهي تشترك في تمثيلها الملاذ الذي يلجؤون إليه هربا من ضغوط الواقع المعيشي وتوتراته . فكانت علاقتهم بها وطيدة ، عشقا ، وحنيناً ، وذكرى صاغوها في خطاب شعري يركز على وصف جمال العناصر الطبيعية ، والتي تؤثث هذه الأمكنة ، إلا أنه ومقابل هذه الأمكنة

---

(١) ديوان البراعم ، غازي القصيبي ، سبق ذكره ، ص ١٦ – ١٧ .

(٢) ديوان عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٢٩ .

(٣) ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية ، سارة الأزوري ، ص ١٧٥ .

الطبيعية الواقعية حضر في العديد من نماذج الشعر السعودي نوع من المكان ، يمكن أن نطلق عليه تسمية المكان / المتخيل ، والذي لا يمتلك وجوداً واقعياً وإنما هو نتاج ذهني تشكله مخيلة الشاعر .

٦ – المكان المتخيل :

يستمد هذا النوع من المكان وجوده من مخيلة الشعراء حيث لا نجد له أثرا في الواقع مما يجعله يمثل نوعاً من المكان المتصور ، الذهني ، اللغوي والنصي ، المجرد الذي يشكل معالمه خيال الشاعر ، لينهض هذا الضرب من المكان مقابلا للمكان المرجعي / الواقعي في شتى أنواعه وتجلياته . وما يمتاز به كل منها من خصائص جمالية ودلالية ، ولعل أفلاطون صاحب (المدينة الفاضلة) كان أقدم من تنبه لذلك .

هذه " مدينة الخيال " عند الشاعر عبد الله باشراحيل ، يصور معالمها في قصيدة تحمل ذات العنوان ، يرسم فيها أحلامه شاعراً ومنظوره لما يجب أن تكون عليه مدينة / الواقع من وئام بين سكانها ، ومن حب وإيثار ومن حضور للضمير تنتفي معه كل مظاهر الشر من حقد وحسد وبغضاء ، يقول مصورا هذه المدينة المثالية ، التي تماثل جمهورية أفلاطون الفاضلة :

مدينـــــــة مرســـــــومة ... بـــــــأروع المنـــــــاظر
رياضـــــــها مخضـــــــره ... بالعشـــــــب والأزاهـــــــر
مدينـــــــة بهـــــا الوئـــــا ... م عـــــــالي المنـــــــابر
النـــــاس فيهـــــا قـــــانعو ... ن ، طيبـــــــو الســـــــرائر

فيهـــا الـــزروع المثمـــرا ت ، تغمـــــر البيـــــادر
حيـــــاتهم موفـــــورة بالحـــــب والتـــــآزر
هـــم يـــؤثرون بعضـــهم في الـــــرزق والـــــذخائر
طيـــف الرضـــا علـــيهم يـــــداعب البصـــــائر[1]

ويضيف قائلا في ذات القصيدة مخاطباً صحبه :

يـــا صـــحب إنـــي هـــارب مـــن نقمـــة العشـــائر
أود يومـــــــــاً أن أرى خلائـــــــق الأواخـــــر
أحلـــــم في مدينـــــة تحيـــــا بهـــــا الضـــمائر
وقـــــد بلغـــــت مـــــأملي وآن أن أفـــــــــاخر
فهـــــذه مدينـــــة تلفـــــظ كـــــل فـــــاجر[2]

وتعـدد صـور هـذه المدينـة المتخيلـة لتكتسـب بـذلك أكثـر مـن تجـل جمـالي وأكثـر مـن بعـد دلالـي . فهـي " المدينـة السـائلة " ، عنـد الشـاعر عبـد الـرحمن معـيض آل سـابي ، حيـث تقـترن المدينـة بحـالات فوضـي الـذات الشـاعرة وضـياعها واغترابهـا في عتمـات المسـاء وفي غيـاب الصـديق والرفيـق ، فهـي المدينـة الشـبيهة بفصـل الخريـف ، حيـث تسـاقط أوراق الشـجر لتتجـرد الطبيعيـة مـن خضـرتها الدالـة علـى الحياة ، يقول :

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

مدينتي مبعثرة

يسودها الضياع

تحول في مسائها

اصابع الندم

وثورة البكاء

تلوح في الطريق

تمر من أمامها

قوافل الرفاق

فتنشد العزاء

ولمسه حانية

تبدد الأوراق

تعود من نحيبها

بحصة السؤال [1]

---

(١) ديوان الصهيل نحو الدائرة ، عبد الرحمن بن معيض آل سابي الغامدي ، سبق ذكره ، ص ٥١ .

إن رصد الباحث لأشكال حضور المكان في الشعر السعودي الحديث والمعاصر ، من خلال نماذج شعرية ثرية ومتنوعة ، وتحليل خصائص أنواع المكان في ذاته ، ثم في علاقته بغيره من الأمكنة ، سمح له باستخلاص النتائج التالية :

اشتغال أغلب الشعراء السعوديين – إن لم يكن جميعهم – على موضوع المكان موضوعاً كلياً أو جزئياً في قصائدهم ، مما منح هذا العنصر حضوراً مهماً في إبداعهم الشعري ، بأن جعله يمثل عنصراً تكوينياً رئيساً من عناصر تشكيل القصيدة ، سواء في عناوينها أو في موضوعاتها .

تواتر حضور المكان في صنع عناوين الدواوين الشعرية للشعراء السعوديين وخاصة في عناوين قصائدهم ، فضلاً عن متونها يؤكد التعالق الوثيق بين الشاعر السعودي والمكان ، وهو التعالق الذي تجاوز الكيان إلى البيان الشعري باعتبار أن الشاعر يستمد هويته إنساناً ومبدعاً من المكان الذي ينتمي إليه .

تعدد أنواع المكان وتنوعها في المتن الشعري السعودي ، حيث يتجلي في صور شتى ، في الوطن في رحابته وامتداده وتجذره التاريخي الضارب في القدم والعراقبة ، والمنفتح على آفاق العصر الحديث ، منه يستمد الشاعر السعودي الانتماء أرضاً وناساً ، حيث يشكل هويته في شتى تجلياتها اللغوية والدينية والثقافية والتاريخية والاجتماعية والحضارية ، وغيرها ولذلك كان تواتر حضوره موضوع إشارة وتمجيد وفخر .

وهـو المـوطن الـذي يحضـر – هـو الآخـر – رمـز هويـة وانتمـاء إلى أرض العشـيرة ومجتمعهـا ، خاصـة وهـو الحاضـن لطفولـة الشـاعر وجوانـب مـن وجـوده . فيكـون موضـوع شـوق وحـنين إلى تجـارب ومغـامرات وجـود منقضـية في الزمـان والمكـان ، وملاذ الشاعر السعودي من توترات حياة المدينة ومجتمعها .

وهـو المدينـة المتعـددة ، في شـتى تجلياتهـا ومختلـف أبعادهـا . فهـي المدينـة السعودية الحاضـنة لوجـود الشـاعر السـعودي ، ومـن ثـم المـؤثرة فيـه بفعـل توجهـها لمسـارات وجـوده وتحديـدها لمسـالك صـيرورته ، أو تلـك الـتي يلوذبهـا للاسـتمتاع بعناصـر جمالهـا الطبيعـي ، وتتـواتر مـدن الطـائف والباحـة وأبهـا . في الكـثير مـن قصـائد الشـعر السـعودي أو تلـك الـتي يزورهـا لتأديـة المشـاعر الدينيـة مـن حـج أو عمرة ، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وهـي المدينـة العربيـة ، في الكـثير مـن نماذجهـا الدالـة علـى أحـداث حاسمـة شـهدتها ، حيـث تحضـر بغـداد دالـة علـى مأسـاة العـراق بعـد حـرب الخلـيج والغـزو الأمريكـي لهـا ، وتحضـر بـيروت مثحنـة بجـراح الحـرب الأهليـة ومـا خلفتـه مـن مآسـي والغـزو الإسـرائيلى لهـا في صـيف ١٤١٢ هـ ، وتحضـر صـنعاء وقـد أرهقتهـا – هـي الأخـرى– الحـرب الأهليـة بـين الشـمال والجنـوب ، وتحضـر الجزائـر ورمـز البطولة ضـد المسـتعمر الفرنسـي غـير أنـه تحضـر مـدن عربيـة أخـرى وجهـة يقصـدها الشـاعر السـعودي للسـياحة ، مثـل : دمشـق وتـونس والـدار البيضـاء فيكـون تغنيـه بمظاهر جمالها الطبيعي وطيب العيش بها .

ومقابل كل من المدن السعودية والعربية ينحسر حضور المدينة الغربية في الشعر السعودي ، حيث لم يقف الباحث إلا عند نماذج محدودة جداً منها مثل " لندن " لعبد الله باشراحيل و " فوكلاند " للشاعر ذاته و "مراوي " لمحمد بن عايض القرني ومقابل مدن الواقع السعودية منها والعربية والعالمية التي تمتلك وجودها المرجعي ، تنهض نوع آخر من المدن ، وهي مدن الخيال التي تشكلها مخيلة الشاعر وتكون بديلا لمدن الواقع ، وهي مدن الحلم والأسطورة . وهي مدن نتجت من المتخيل الشعري ، حيث يشكلها الشعراء السعوديون للتعبير عن رفضهم لمدن الواقع ، حيث يسم علاقاتهم بها نوع من المعاداة تتعدد صورها وتتنوع أبعادها . وتحضر إلى جانب هذه الصورة المتعددة من المدينة المكان و المكان المدينة أماكن أخرى متعددة ، أبرزها الأماكن الجميلة في طبيعتها وجوها ، وتمثل موضوعاً تغنى الشاعر السعودي كثيراً به ، حيث تمثل هي الأخرى ملاذاً من ملاذاته ، يلوذ به للترويح عن النفس و الذكرى والحنين .

الفصل الثالث

المكان ودلالته في الشعر السعودي

الفصل الثالث

المكان ودلالته في الشعر السعودي

عند استقراء أِشكال حضور المكان في المدونة الشعرية السعودية الحديثة والمعاصرة ورصدها ، فضلاً عن تحليل أبرز تجلياتها الجمالية تبدو لي أنها ليست بذات الوفرة المأمولة ، لكن الباحث يؤكد الحضور المهم الذي يشغله المكان في تعدده وتنوعه في تشكيل قصيدة الشاعر السعودي ، مما يوحي بمنزلة المكان الرفيعة في فكرة ووجدانه ، بحكم احتوائه لتجارب وجوده ومغامراته ولحالات كيانه ومناخاته ، وهو ما جعل المكان عنصراً تكوينياً مهماً في القصيدة السعودية الحديثة والمعاصرة ويتميز بتنوع أبعاده الدلالية ، الذاتية ، والاجتماعية والقومية والإنسانية .

فالخطاب الشعري وإن كان ذاتي المنطلق يصدر من ذات الشاعر الفردية ، فإنه مجتمعي المسار ، بسبب التعالق الوثيق بين الذات الفردية للشاعر والذات المجتمعية التي تؤثر فيه بمختلف مكوناتها وهو بالإضافة إلى ذلك إنساني المدى ، باعتبار أن الإبداع في شتى تنوعاته ومنها الأدبي وبالأساس الإبداع الشعري يبقى سبيل الإنسان إلى اكتشاف السمات المفيدة الدالة على إنسانيته وما تقوم عليه من قيم أخلاقية وسلوكية خالدة .

فالمكان المتعدد المتنوع تجاوز عند الشاعر السعودي الدلالة على ما يجسده من أبعاد جغرافية متعارف عليها تعدد أشكالها وتتنوع المظاهر الدالة عليها

المعمارية منها والطبيعية على حد سواء ، وإنما أصبح له بعد تخييلي غني من حيث إيحاءته وما تنطوي عليه من دلالات ، ذلك أن المكان الواقعي في تعدده وتنوعه والذي يحوي تجارب الذات الشاعرة ومغامراتها في الوجود يتحول في القصيدة الشعرية عبر اللغة ومسالك التخييل إلى مكان لغوي / نصي / مجرد ، يوهم بمرجعيته الواقعية دون أن يكونها حقيقة في النص الشعري ، فهو مكان / ذكرى / أو ذاكرات متعددة يعمد الشاعر السعودي إلى استعادتها – وهو يشكل قصيدته الشعرية هي ذاكرات : ذاته فرداً ومجتمعه ، والإنسانية ، تتفاعل مع بعضها البعض في استعادة معالم المكان وإعادة إنتاجها ، من خلال إعادة تشكيل عناصرها التكوينية المتصلة بمختلف تلك الأبعاد الذاتية والمجتمعية والإنسانية وهي التي سيعمد الباحث إلى استقراء أشكال حضورها في الشعر السعودي الحديث والمعاصر ، من خلال رصد طرائق صوغ الشعراء السعوديين جمالياً للمكان المتعدد سواء المحلي أو القومي أو العالمي ، وما يحمله كل نوع منها من دلالات متنوعة تراوح بين الذات والمجتمع و الإنسان والتي سيتولى الباحث تحليلها واستخلاص أبرز أبعادها وما يعكسه كل منها من رؤى خاصة دالة على حالات شعرائها ومواقفهم باعتبار أن " المكان يتشكل دائماً ويتلون وفق الحالة الإنسانية " . [1]

---

(١) ابن خفاجة وتشكيل النص ، الذات تبحث عن نفسها في إطاري الزمان والمكان ، علي الشرع ، مجلة : دراسات ، مجلد ١٨ / ع ٣٤ ، عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ص ١٩٤ .

ومهما اختلفت طرائق الشعراء السعوديين في صوغ أنواع الأمكنة المختلفة في قصائدها والمتنوعة ، فإن دلالات تلك الأمكنة مثلما تمثلوها ، تنقسم إلى ثلاثة أضرب تتعالق فيما بينها وتتعاضد لتتكامل في النهاية وهي : الدلالات الذاتية النفسية والدلالات الاجتماعية والدلالات الإنسانية .

١ – الدلالات الذاتية النفسية :

إن العلاقة وثيقة بين العمل الأدبي – وهنا الشعري – ونفسية مبدعه ، وذلك أن القول الشعري غالباً ما يكون نتاج واقع الشاعر النفسي ، وما يتسم به من حالات انفعال مختلفة وتنوعه ، تعكس مختلف المشاعر الإنسانية من فرح وحزن وشوق وحنين وعشق ومعاناة هجر ، وهو ما يجعل النص الشعري ذلك الفضاء الذي يعكس أحاسيس الشاعر الداخلية والتي عايشها وكابدها قبل أن يحولها عن طريق اللغة وعبر مسالك التخييل إلى عوالم إبداع شعري ، حيث تعكس مختلف صور ذاته في شتى حالاتها والتي تتضافر مجتمعة ومتفاعلة مع بعضها البعض لإنتاج حالته الشعرية ، والتي تنطقه القول الشعري ، مما يسهم هذا القول بالصدق في نقل مشاعر الشاعر تجاه أنواع الأمكنة التي يشكلها في قصائده ، والمقصود بالصدق هنا ليس الصدق المرادف للحقيقة وإنما الصدق الفني الذي يؤكده الشاعر الانجليزي " ديتش " في حديثه : (إن الشعر ينبغي أن يدهشنا عن طريق التطرف الرقيق لا عن طريق الفردية ، ينبغي أن يقنع القارئ ، بحيث يحس كأن هذا الشعر يعبر عن أفكاره هو نفسه وفي أعلى حالاتها ، وينبغي كذلك ألا تقف اللمسات الجمالية فيه عند منتصف الطريق

فـتترك القـارئ مقطـوع الأنفـاس بـدل أن تتركـه راضـياً ، وينبغـي أن تبـدأ الصـورة الشـعرية وتتطـور وتأخـذ شـكلها بطريقـة طبيعيـة أيضـاً ، بحيـث تغمـر القـارئ كمـا تغمـره الشـمس ، وتتركـه في حالـة المتعـة الشـبيهة بالمتعـة الـتي يحصـلها مـن حالـة الغـبش ، والشـعر إذا لم ينبعـث بصـورة طبيعيـة كمـا تنبعـث الأوراق مـن الشـجرة فمن الأفضل ألا ينبعث على الإطلاق) . [1]

ويؤكـد هـذا القـول أحـد أعـلام الرومانسـية ورد زورث " إن الشـعر انسـياب تلقـائي للمشـاعر القويـة ، إنـه يصـدر عـن العواطـف الـتي تسـتعاد في حالـة سـكينة وهنالـك يـتم بالتـدرج ، وتحتـل مكانهـا عاطفـة قريبـة مـن تلـك العاطفـة الـتي كانـت موجـودة قبـل عمليـة التأمـل هـذه ، حيـث تحتـل هـذه العاطفـة الأخـيرة الـذهن بالفعـل ، في مثل تلك الحالة تبدأ كتابة الشعر " [2].

فتجـارب الشـاعر السـعودي مـع المكـان في تعـدده وتنوعـه تسـهم مـن خـلال مـا تنتجـه داخـل الشـاعر مـن حـالات نفسـية في تشـكيل رؤيتـه للأمكنـة ، فيحـول حالاتـه الشعورية إلى حالة شعرية تلهمه القول الشعري ، يصور بدقة هذه الحالة .

فالشـاعر يعـيش في فضـاء المكـان ، الـذي يحويـه كيانـاً ووجـوداً وصـيرورة تجـارب ومغـامرات ووقـائع وذكريـات ، تسـهم مجتمعـة في تشـكيل مختلـف حالاتـه

---

(١) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتش ، ترجمة محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٩٣ – ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

الوجودية أو بالأحرى الوجدانية ومختلف رؤاه للذات والآخر والعالم ، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن علائق الإنسان بالمكان أقوى من تلك التي تربطه بالزمان . فـ " المكان بالمعني الفيزيقي أكثر التصاقاً بحياة البشر ، من حيث إن خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان ، فبينما يدرك الزمان إدراكاً غير مباشر من خلال فعله بالأشياء ، فإن المكان يدرك الزمان إدراكاً حسياً مباشراً " (١)

فنفسية الشاعر في كل حالاتها شديدة اللصوق بالمكان ، الذي منه يستمد مشاعر الأمن أو الخوف ، العشق أو النفور ، الأنس أو الاغتراب ، الحنين أو الشوق ، فأشكال ملامسة الشاعر للمكان هي التي تنتج حالاته المختلفة نحوه ، الايجابية منها والسلبية .

ولهذا يرى الباحث أنه يمكن تقسيم الدلالات الذاتية النفسية للمكان مثلما تجلى في الكثير من نماذج الشعر السعودي الحديث والمعاصر إلى ضروب متعددة ، أبرزها :

أ) العشق للمكان أو المكان العشقي :

يسم العشق علاقة أغلب الشعراء السعوديين بالمكان ، من خلال ما يعمدون إليه من تشخيص أدبي للأمكنة التي تستهويهم وتجذبهم ، أما لجمالها الطبيعي أو لعراقة تاريخها قديماً وازدهارها الحضاري حديثاً أو لقداستها وما تبعثه في

---

(١) مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ، تقديم وترجمة : سيزا قاسم دراز ، ٧٩ .

أنفسهم معالمها الدينية مثل الكعبة الشريفة والروضة النبوية الزكية ، حيث تجد السكينة والطمأنينة والخشوع والاعتبار ، أو لما تحويه تلك الأماكن من ذكريات متنوعة ، سواء للطفولة أو لزيارات لها تركت في نفوس الشعراء آثارها ، مما أنشأ نوعاً من العلاقة العشقية معها ، ففيها من الصور عذوبة الوصل الكثير ، وصور لعذابات الفصل أكثر ، إذ أرى استعارة أغلب أولئك الشعراء لتلك الأماكن صورة الحسناء التي فتنهم جمالها فلم يستطيعوا الصمود أمام جاذبيتها ، فكان عشقهم لها حد الوله في الكثير من النماذج الشعرية ، حيث تماهى المكان والحبيبة ، عشقاً يولد سعادة عند اللقيا ولوعة عند الفراق ، وسهاداً ومعاناةً عند التذكر ، مما يحول المكان إلى مكان وجد، يدرك فيه العشق مرتبة العشق الصوفي حيث يتوحد الإنسان بالمكان .

وهو ما يمثل له الباحث بقصيدة " قلب في أبها " للشاعر تركي العصيمي والتي يتغزل فيها بمدينة أبها ، التي شبهها بالمرأة الحسناء فائقة الجمال ، والتي عشقها بكل عنفوان .

وكان يعاني في وصلها كما في تذكرها ما يعانيه العاشق في حبه لمحبوبته من اشتياق ولوعة ووجد ، يقول :

لقد كان من أهوى شحيحاً بمطلبي ... عليماً بأشواقي جهولاً بمقصدي
وكنت فتى في الحب صعب مراسه ... فلما سباني الحب أسلمت مقودي
وغالبت آمالي وقد حيل بيننا ... بباب لعمري لا يرى غير موصد
وصرت أرى من طيفها خير مؤنس ... فقاطعت خلاني وجافيت مرقدي

ولــو أبصــرتني ربــة الســحر عنــدما سـئلت فـأغنى عــن جــوابي تنهــدي

ولــو أبصــرتها عــين مــن لام لم تلــم وكــم لائــم أضــحى بمــن لام يقتــدي

ومـــا زادنـــي العـــذال إلا صـــبابة ومــا ضــرني لــو كنــت عبــداً لســيدي

ومـــا بلغـــوا معشـــار شـــوق بلغتـــه ومــا وردوا مــن منهــل الحــب مــوردي

إذا لم يكــن للحــب في القلــب موضــع فلــيس لهــذا القلــب غــير المهنــد[1]

ومن أمثلة المكان العشقي قصيدة (عيون القاهرة) لغازي القصيبي ، يقول :

آمنت بالطهر ينساب

في ضياء عيونك

رعشت بالحب يبدو

لي في دلال جفونك

خطرت في قفر عمري

كالواحة الخضراء

ولجت في أفق قلب

فجراً من الأضواء

وسلت تيار دفء

---

(١) قلب في أبها ، سبق ذكره ، تركي العصيمي ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

ونشوة في دمائي

ترى ... أأنت ملاك

ينير ليل شقائي [1]

ب – الحنين إلى المكان أو المكان الحنيني :

تتواتر مشاعر الحنين إلى المكان ، وما يقترن به من ذكرى أو ذكريات متنوعة ولها أثرها في نفس الشاعر في الكثير من قصائد الشعراء السعوديين ، وقد رسموا فيها صوراً من حنينهم إلى أمكنة مختلفة ومتنوعة ، منها صور الحنين إلى الوطن حين يغادرونه إلى بلاد أخرى للسياحة أو للدراسة أو لأغراض أخرى ، فإذا هم يعبرون عن حزنهم لفراقه واغترابهم في تلك البلاد : " ذلك لأنهم كانوا يغادرون أشياء كثيرة غير هذه الأشياء المادية التى تحيط بهم ، فقد تكون هذه الأشياء علاقة حب ، أو أصواتاً كانوا يأنسون بها في ضوء القمر ، أو ارتباطا بنخلة نمت على عينيهم أو بنجم كما كان يتألق في السماء كان يتألق في نفوسهم ، المهم أنهم كانوا يغادرون هذه الأشياء مهمومين ومحزونين وكانوا تحت الضغوط لا يملكون إلا الالتفات إليها بشيء من الجلد ، ثم بشيء من الحزن حتى تكتمل دائرة الانفصال " . [2]

---

(١) البراعم ، غازي القصيبي ، سبق ذكره ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة وتحقيق : غالب هلسا ، سبق ذكره،ص ١٦٣ .

ولما كان الوطن يتحول إلى فكرة بمعنى أنه يتحول إلى حالة ذهنية تنشأ عن انقطاع خارجي فإن الشاعر السعودي ظل يحن إليه عند مغادرته له ، تعبيراً منه عن قوة وشائجه به أرضاً وناساً ، ورمز انتماء وهوية ، يتطلع إلى الرجوع إليه ، متوسلاً في ذلك بالذكريات التي يملكها عنه .

وهو ما يمثل له الباحث بقصيدة : " أحبك يا بلادي " للشاعر عبد الله باشراحيل ، والتي يتغنى فيها بوطنه ، مركزاً على الوشائج القوية التي يكنها له ومفتخراً بكل إنجازاته وشمائل أهله ، يقول :

هفهفي اليوم يا زهور بلادي ... فوق تلك الربى وشم النجاد
وارسلي العطر من شذاك يغني ... بربيع الندى وصفو الوداد
واشرقي فالرضى عليك تهادى ... فاستبنا مشارف الأعياد
يا سعوديني وأنت ملاذي ... طول عمري وكعبة القصاد
جمع العود أمرنا فغدونا ... أمة للهدى تمد الأيادي[1]

غير أن المكان الحنيني مثلما يرتبط بالوطن فإنه يرتبط بالموطن الذي يحتضن الذات الشاعرة في طفولتها ، وهو المكان الأليف الذي يعرفه الناقد الفرنسي غاستون باشلار بقوله : " هو الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، ص ١٩٣ .

، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة " [1]

وهذا أمر بدهي ، إذ ليس هناك أقوى من أثر الطفولة والصبا في شخصية الفرد ، حيث تضفي عليه سماته النفسية والفكرية والاجتماعية ، ومن ثم فلا يمكن أن يتصور تفاعل مع المكان إلا إذا كان المكان هو " وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط البدئي المشيمي برحم الأرض / الأم ، ويرتبط بهناءة الطفولة وصبابات الصبا " [2]

" فالمكان مرتع الطفولة هو الأقوى ألفة وحضوراً في قاموس الإنسان الحياتي ، وبالتالي هو أبر ز المكونات اللاشعورية الثانوية في عقل الشاعر ، بوصفه المكان الأثير لدى النفس " [3]

هذا هو الحنين إلى الموطن الذي تواتر في الكثير من نماذج الشعر السعودي ، نجد مثاله في قصيدة (حنين) للشاعر عبد الله باشراحيل ، من ديوانه " معذبتي " الذي أهداه إلى أم القرى وطنه ، وهي القصيدة التي يحن فيها إلى موطنه أم القرى ويستعيد جميل ذكريات صباه مع أترابه ، قبل أن يرتحل عنه لطلب العلم ، يقول :

---

(١) جماليات المكان، غاستون باشلار ، ص ١٦٧ .

(٢) إضاءة النص ، اعتدال العثمان ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ٥ .

(٣) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ٢٠٠١ م ، ص ٧٢ .

أم القـــرى يـــا حلمنـــا المـــأمولا إنـــا قضـــينا في ربوعـــك جـــيلا
إنـــا عشـــقنا فيـــك أيـــام الصـــبا فلكـــم لهونـــا في الـــدروب طـــويلا
عانقتنـــا عنـــد الرحيـــل محبـــة وأطلـــت في توديعنـــا التقبـــيلا
فيـــك الأحبـــة أشـــرقت آمـــالهم وتفيـــأوا ظـــلاً هنـــاك ظلـــيلا
فإليـــك أهـــدي يـــا بـــلاد قصـــيدتي وإليـــك وحـــدك أبـــدع الترتـــيلا
هيهـــات أن ألقـــى كمثلـــك منـــزلاً في العـــالمين ومـــا أردت بـــديلا[1]

وذات الحـنين إلى المـوطن / مكانـاً عشـقياً ، يصـوغه الشـاعر خليـل إبـراهيم الفزيـع في قصـيدته : " حـنين عاشـق " الـتي يكشـف فيهـا علاقتـه العشـقية بموطنـه (الجشـة) مـوطن الجمـال ، ومرتـع الخيـال ، ويصـور فيهـا حنينـه إليهـا ، وإلى أهلـها الكـرام مؤكـداً وفـاءه لـذكريات صـباه بهـا ، والـتي تبقـى أقـوى مـن النسـيان ، يقول :

قلـبي يحـن إليـك مـا تـرى السـبب يـا غـادة ينتشـي مـن ذكرهـا الطـرب
والـذكريات تنـاديني وتقـذف بـي في لجـة الشـوق شـوقي نحـوك عجـب
شـربت حبـك في صـغري وفي كـبري فمـا ارتويـت أو إن طالـت بـي الحقـب
في مثـل حبـك لم أعـرف سـواك جـوى تجـري دمـائي بـه والقلـب يضـطرب
وفي هـواك اسـتوى عشـقي وخالجـه حلـم يلـم سـناه الفكـر والأدب
بعضـي تشـتت في الأرجـاء يـا قـدري لكـن بعضـي إليـك ظـل ينجـذب
تلـك الـتي عـذبتني كلمـا غربـت مـن نـاظري أشـرقت في القلـب تنكسـب

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد الله باشراحيل ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(الجشة) الحب تغريني مفاتنها يزفها محتد للمجد ينتسب

ج – النفور من المكان أو المكان المعادي :

إن المكان مثلما يكون معشوقاً عند الكثير من الشعراء السعوديين ، فيكون مصدر سعادة لهم ويشعرهم بالراحة والألفة ، قد يكون مكان منفراً عنه فيقفون منه موقفاً معادياً ، إذ يرفضونه ولا يقدون على إطالة البقاء به لأنهم لم يتفاعلوا معه ، ولم يشعروا بالراحة والألفة والأمان فيه .

ويتجلى هذا المكان المعادي في صورتين في العديد من نماذج الشعر السعودي ، أولها تلك التي يفضل فيها الشاعر موطنه الريفي والقرية على المدينة التي يتحول إليها لأسباب شتى ، فلا يستطيع الانسجام معها والاندماج في أنساق الحياة بها ، والتخلق بأخلاق أهلها وانتهاج أنماط سلوكهم في ممارسة الوجود ، وفي علاقاتهم بعضهم ببعض ، وهو ما يثير في نفسية الشاعر الشعور بالاغتراب و عدم الانتماء رغم وجوده في ربوع وطنه ، وهو ما نمثل له ب (صرخة مدينة) لتركي العصيمي :

بعد التباهي بالوسامة أصبحت رمزاً للدمامة
أين الجمال كما عهد ت على جبين الدر شامة
لم تبق إلا وصمة سوداء تبدو كالعلامة

إنـــــا تعودنـــــا علـــــى رؤيـــــا علامـــــات القيامـــــة
وعلـــــى شـــــوارعك الـــــتي ضـــــاقت بـــــأكوام القمامـــــة [1]

أمـا ثانيهـا فتتجلـي في الـبلاد الأجنبيـة الـتي يتحـول إليهـا العديـد مـن الشـعراء ، فـلا ينسـجم بعضـهم معهـا ، لتتحـول إلى المكـان الضـد المعـادي ، الـذي يرفضـونه وجـدانياً ويزهـدون في الاقامـة بـه ، حيـث يستبد بهـم الشـوق إلى الـوطن ، المحبـب إلى نفوسـهم أرضـاً وناسـاً ، وهـذا النـوع نمثـل لـه بقصـيدة " لنـدن "للشـاعر عبد الله باشراحيل ، يقول :

يـــوم في لنـــدن في حطيـــت رحـــالي بعـــد أســـفار طـــوال وارتحـــال
جئتهـــا أحمـــل عـــن أفيائهـــا صـــوراً تمـــلأ عقلـــي وخيـــالي
فـــإذا بـــي عنـــدها في ســـأم واكتئـــاب وانفعـــال ومـــلال
أينمـــا وجهـــت طـــرفي صـــور ومـــن لياليهـــا ويـــا بـــؤس الليـــالي
أجمـــال ايـــن منهـــا مـــوطني مكـــة الفيحـــاء ينبـــوع الجمـــال[2]

ثـم يمضـي مفضـلاً موطنـه مكـة علـى لنـدن الـتي يقرنهـا بالسـلبي مـن الصـفات الـتي لم ترغبـه فيهـا ، بـل نفرتـه لأن عشـقه الحقيقـي يبقـى لموطنـه أم القـرى ، ولوطنه المفدى ، يقول :

---

(١) ديوان (قلب في أبها) ، سبق ذكره ، تركي العصيمي ، ص ٢٢٤ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، سبق ذكره ، عبد الله باشراحيل ، ص ١٣٦ .

أنـــا في لنـــدن أهفـــو لربـــى مكـــة للنـــور في تلـــك الجبـــال
مـــوطن العلـــم ومحـــراب التقـــى مكـــة البيضـــاء أهلـــي ومـــآلي
أيـــه يـــا لنـــدن يـــا غانيـــة زورت حـــبي ومـــا نالـــت خصـــالي
فابعـــدي لنـــدن عـــن ســـاحاتنا واتركينـــا ودعينـــا للمعـــالي
زوري مـــا شـــئت مـــن تاريخنـــا واســـبحي مـــا شـــئت في بحـــر الضـــلال
نحـــن مـــن مكـــة مـــن أرض الســـنا مـــن بـــلاد المجـــد مـــن مهـــد الجمـــال [1]

٣ – الدلالات الاجتماعية :

تتجلـى أبـرز الـدلالات الاجتماعيـة للمكـان في الكـثير مـن نمـاذج الشـعر السعودي الحديث والمعاصر ، فيما يلي :

أ – المكان رمز للانتماء :

تتـواتر القصـائد الـتي يصـور فيهـا الشـعراء السـعوديون عمـق انتمـائهم للـوطن أرضـاً وناسـاً ، وافتخـارهم بهويـة انتسـابهم إليـه : جغرافيـا ممتـدة وتنوعـه ، وتاريخـاً مجيـداً ضـارباً في القـدم ، وحضـارة مشـرقة تميـز حاضـره ، وهـو المكـان / الـوطن رمـز الانتمـاء الـذي يمثـل لـه الباحـث بهـذا المقطـع مـن قصـيدة " هـذي بـلادي " للشاعر عبد الله الزمزمي ، يقول فيها :

أنـــا إنســـان هـــذه الأرض أحيـــا بانتمـــاء يضـــائل الأزمانـــا
بـــدوي قـــالوا فقلـــت جـــدير بـــرؤى البـــدو أن تكـــون عيانـــا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

بـــدوي أجـــل ومـــن غـــير قـــومي ذوبـــوا الحـــرف رقـــةً وبيانـــاً
بـــدوي لشـــدوه فـــزت الصـــحر اء روضـــاً وصـــخرها إنســـاناً
جـــاوز الشـــهب مـــوطني فتمنـــى كـــل نجـــم لـــو لامـــس الأردانـــا
نحـــن بـــدو أجـــل ونحـــن ابتـــداء للحضـــارات ضـــاق عنـــا مـــدانا
فركزنـــا لواءنـــا في جـــبين الشـــم س فاســأل هـــل قـــد خســـرنا الرهانـــا
قـــدر الأرض أن تكـــون كيانـــاً وبـــلادي تكـــون فيهـــا الجنانـــا[1]

ب – المكان رمز للقيم الأصيلة :

تتعدد القصائد الشعرية التي أشاد شعراؤها فيها بالمكان رمزاً دالاً على ما يتحلى به أهله من قيم أصيلة ، تتجلي في صفات الكرم والشجاعة والإيثار والنجدة والشرف والعدل ، وغيرها من الصفات الأخلاقية التي توارتوها عن أسلافهم ، وتشكل قيم مجتمعهم السعودي الإيجابية التي تحتكم إليها أخلاقهم وسلوكياتهم وأشكال تعاملهم مع بعضهم البعض في واقع ما فتئت تنحسر فيه مثل تلك القيم ، لتعوضها قيم فردية ، التي تسود علاقات الأفراد في المجتمعات العربية ، التي انحسرت فيها مثل تلك القيم الأصلية ، مقابل هيمنة القيم النفعية ، مثل : الأنانية والوصولية والانتهازية ، وغيرها من القيم الأخلاقية والسلوكية المتهافتة .

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، جمعها واعتني بها وعلق عليها : إبراهيم الألمعي ، النادي الأدبي بالباحة ، ١٤٣٠ هـ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

فالشاعر عبد الله باشراحيل بتغنى في قصيدته (لندن) بصفة الصدق التي تميز أهل بلده والمقترنة دوماً بعاطفة الحب ، حيث لا مجال للكذب أو النفاق ، يقول :

نحن للصدق وللحب بنا شغف يبقي على طول الليالي[1]

أما الشاعر عبد الله الزمزمي فيعدد شمائل أهل بلده مفتخراً بها في خطاب يكشف عن عميق اعتزازه بشجاعتهم عند الاقتضاء ، وبعطائهم الدائم وكرمهم سجية من سجاياهم ، وبتسامحهم حتى مع العدو لترفعهم عن ذلك ، يقول في قصيدته : " هذي بلادي " :

نحن سيف نجاده الحق يدمي كل باغٍ يحاول العدوانا
نحن وصل لمن أرادوا جمالاً ومعين لمن دنا ظمآنا
يا بلادي وكم بذلنا عطاءً ورمينا بوردة من رمانا
غير أنا إذا تمادى غوي يصبح الورد في يدينا سنانا[2]

٣ – الدلالات القومية (التفجع على المكان ورثاؤه) :

كثيرة هي القصائد التي حملت دلالات قومية ، من خلال تفجع شعرائها السعوديين على مدن عربية تم غزوها من قبل الأعداء ، مثل : القدس وبيروت

---

(١) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزي ، سبق ذكره ، ص ١٣١ .

من طرف الصهاينة ، وبغداد من طرف الأمريكان ، وهو ما حملهم على رثائها لما لحق بعمرانها من خراب ودمار وبأهلها من قتل وقمع واستباحة ، وهو ما وسم الخطابات الشعرية لهؤلاء الشعراء بالانفعالية ، ذلك أن رثاءهم لتلك المدن هو في حقيقته رثاء لذواتهم الفردية ، باعتبار الوشائج القومية التي تربطهم بها ، وهو رثاء للذات العربية والإسلامية لما آلت إليه من ضعف وعجز وذل مكن الأعداء من أرضها وناسها ، وهو رثاء للذات الإنسانية ، في واقع معاصر تتهافت فيه القيم الأخلاقية الأصلية مقابل هيمنة القيم المادية والنفعية وسيادة منطق الأقوى .

ويمثل الباحث لمثل هذا الضرب من القصائد التي تميزت بموضوعاتها القوية التي أكسبتها دلالات خاصة ، بقصيدة " رسالة إلى القدس " للشاعر حسن محمد حسن الزهراني ، حيث يصور معاناته لما تتعرض له هذه المدينة المقدسة من تدنيس لمقدساتها واغتصاب لأرضها وتنكيل بأهلها قتلاً وإبعاداً وحصاراً وقمعاً وتعذيباَ ، يقول مقارناً بين ما كانت عليه مدينة القدس من إشراق وما آلت إليه من مأساة :

يا قدس عيني براها الهم والسهر ... وبات منها غزير الدمع ينهمر
وكادت النفس تقضي حرقة وأسى ... وكاد قلبي من الأحزان ينفطر
لما رأى فيك من ظلم ومن عبث ... شكا إلى الله منها الطير والشجر
وأمتي في سبات لا تؤرقها ... شكواك إذ حام في أرجائك الخطر
يا قدس إنا سئمنا العيش في قلق ... متى سيرحل هذا الحزن الكدر

يـــا قـــدس هـــذا ابـــتلاء لا مـــرد لـــه إذا قضـــى الله مـــاذا يصـــنع البشـــر
يـا قـدس يـا موطنـاً عـاش الزمـان بـه مـن كـان يعلـم مـا يخفـي لـك القـدر
كانـــت سمـــاؤك تقضـــي الليـــل حالمـــة تزينهـــا الأنجـــم الزهـــراء والقمـــر
كانـــت سمـــاؤك تزهـــو لا يعكرهـــا إلا ســـحاب نقـــي الحســـن ينتشـــر
ولا يمـزق ثـوب الصـمت فيـك سـوى دويّ رعـــد فيهمـــي إثـــره المطـــر
فمـزق الصـمت بعـد الرعـد في صـخب صـوت الرصـاص الـذي في الجـو يسـتعر
وطـــائرات تجـــوب الجـــو في عجـــل ينهـــل منهـــا علـــى أطفالنـــا شـــررُ[1]

وتطالعنـا أيضـاً في هـذا الموضـوع قصـيدة للشـاعر عبـد الله الزمزمـي " ليلـة سـقوط بغداد من ديوانه ومجموعته الشعرية الكاملة يقول :

يـــا دار أهلـــوك غـــير الأهـــل والـــدار لا الوجـــــة طلـــــق ولا الـــــزوار زوّارُ
يشـــكو المقيمـــون للنـــائين غـــربتهم وتحتســـين دمـــوع الثكـــل مـــذ ســـاروا
بغـــداد يـــا امـــرأة ماتـــت قبيلتهـــا فلـــيس فيهـــا الـــذي يحمـــي بـــه العـــار
بغـــداد يـــا امـــرأة باعـــت ظفائرهـــا بحثـــاً عـــن الخبـــز إن الجـــوع سمســـار[2]

٤ – الدلالات الإنسانية :

الأدب في طبيعتـــه هـــو بحـــث في طبيعـــة ســـلوك الإنســـان ويســـعى إلى إعـــادة اكتشـاف العـوالم الداخليـة والخارجيـة لهـذا المخلـوق الـذي أبدعـه الخـالق العظـيم ،

(١) ديوان صدى الأشجان ، حسن محمد الزهراني ، مطبوعات نادي الباحة ، ١٤١٨ هـ ، ص ٤٣ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، سبق ذكره ، ص ١٧١ .

وهنـاك قـيم مشـتركة لـدى الإنسـانية تـؤمن بهـا المجتمعـات سـواء انتشـرت هـذه القـيم أم انحسـرت ، فالعـدل والحريـة والمسـاواة والرغبـة في الحيـاة الكريمـة مـن هـذه القـيم الـتي وجـد الباحـث أن شـعر المكـان السـعودي قـد دل عليهـا تصـريحاً أو تلميحاً .

فنجـد في شـعر المكـان السـعودي مـا يشـير إلى هـذه الـدلالات فمـثلاً قصـيدة (علـى أسـوار بغـداد) للشـاعر حسـن الصـميلي في ديوانـه : (بعـض معـاني السـماء) اشتملت على دلالات إنسانية جلية الملامح . يقول :

في خندق في طرف المدينة

رأيتهم

والليل مد غيمة من الأسى

رأيتهم

تنبض فيهم السكينة

والموت في الضفاف حولهم رسا[1]

(١) بعض معاني السماء ، حسن الصميلي ، سبق ذكره ، ص ٧٤ .

فالشاعر هنا تثور عاطفته الإنسانية تجاه أولئك الذين تحيط بهم الصراعات و يكتوون بنارها فهم كمن يقضي حياته في خندق والليل يطول عليهم جداً ويبعث في نفوسهم الأسى .

ثم يبين أحد أوجه معاناة هؤلاء إذ يقول واصفاً حال الغزاة :

يراودون الأرض عن كنوزها

فاستعصمت

وصرخت في أهلها بالعار

يا أيها الأحرار ... يا أيها الأحرار [1]

والمكان في تعدده وتنوعه يسهم بفعالية في نحت كيان الإنسان ، من خلال بلورة سماته الخلقية والسلوكية وتوجيه مسارات وجوده وتحديد اختياراته ، فيكون المكان بذلك دالاً على السمات المفيدة للإنسان ، والذي يكسب بدوره المكان معنى ومن ثم الفاعلية من خلال ما ينتجه من أحداث ناجمه عن حلوله به ، ومن حالات دالة على انفعالاته بمظاهره إيجاباً أو سلباً ، ومن أقوال معبرة عن تلك الحالات تجاه المكان .

وعندما يتحدث الشاعر عن المكان فإنه يتلمس جوانب إنسانيته في هذا الحديث ، ويحاول أن يجد فيه ما يريح ضميره ووجدانه ، فتذكر المكان مثلاً

---

(١) المصدر السابق ،ص ٧٥ .

هـو تغلغـل في أعمـاق الـذكرى ليسـتخرج منهـا مـا يـزيح التشـوق والحـنين ، فهـذا الشاعر تركي العصيمي يقول في قصيدته (ذكريات مهجة حزينة) :

يـا مهجـة في أتـون الهـم تحـترق وأنـةً مـن صـميم القلـب تنطلـق
إذا سـلا عـادت الـذكرى تؤنبـه حتـى تـراه بوجـه الوجـد يصـطفق
ذكـرى يؤججهـا دومـاً ويضـرمها طـيش الشـباب ووحـي الحـب والنـزق[1]

فالشـاعر هنـا في مظهـر مـن مظـاهر الإنسـانية المتجليـة يخاطـب مهجتـه المحترقـة وأنتـه المنطلقـة لعلـه يخفـف مـا يجـده مـن الـذكرى لمكـان جمعـه بمحبوبتـه وعاشـا فيـه طـيش الشـباب ووحـي الحـب وهـو هنـا يعـبر عـن أخـص خصائص الإنسان (الحب) الذي يبعث على الشوق والذكرى :

تلـك هـي أبـرز دلالات المكـان في الشـعر السـعودي الحـديث والمعاصـر ، وهـي دلالات ذاتيـة نفسـية ، ودلالات اجتماعيـة ، وقوميـة ، وهـي في الأخـير دلالات إنسـانية ، تتصـل بـذات الشـاعر ، لا في فرديتهـا الضـيقة ، ولا في محليتهـا المحـدودة ، وإنمـا في إنسـانيتها المطلقـة القائمـة علـى الأصـيل مـن القـيم الخالـدة المحددة لإنسانية الإنسان .

(١) قلب في أبها ، تركي العصيمي ، سبق ذكره ، ص ١٦٧ .

الفصل الرابع

قصيدة المكان دراسة فنية

الفصل الرابع

قصيدة المكان دراسة فنية

مفهوم البناء الفني :

تعتبر قضية البناء الفني في القصيدة العربية واحدة من القضايا الرئيسة التي تناولها النقاد والباحثون في دراساتهم ، لما تشمل حذف من تنوع جمالي تتكشف أسراره مع كل محاولة لسبر أغوار الشعر ، وهنا قبل الشروع في الدراسة الفنية يجدر الوقوف عند مفهوم البناء الفني لغة واصطلاحاً وتطوراً تاريخياً .

فالبناء في المعاجم العربية هو نقيض الهدم ، والبنية بضم الباء وكسرها ما بنيته ، استعملت هذه المفردة للدلالة على إنشاء القصور والسفن . [1]

و البناء والمبني ، والجمع أبنية ، وأبنيات جمع الجمع ، والبناء هو مدبر البنيان وصانعه ، والبنية و البُنية : ما بنيته وهو البنى والبُنى ، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

(وفلان صحيح البنية) أي الفطرة . [2]

---

(١) الصحاح في اللغة والعلوم ، الجوهري ، المجلد الأول – مادة (بنى) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص ٦٦ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (بنى) ، دار صادر – بيروت ، المجلد الأول .

ويعرف صلاح فضل البناء بأنه الطريقة التي يقام بها مبنى ما ، ويضيف أن هذه الكلمة استخدمت في اللغات الأوروبية لتدل على الشكل الذي يشيد به مبنى ما ، ثم تطورت لتدل على الطريقة التي تتكيف فيها الأجزاء وتتلاحم لتشكل كلاً واحداً . (١)

ويعرف زكريا إبراهيم البنية بأنها نظام أو نسق من المعقولية أو القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته . (٢)

والبناء الشعري اصطلاحاً هو مجموعة من العناصر والقوى التي تتظاهر في النص على نحو يتم فيه تكامل المعاني الشعرية المبتورة في حقائق لغوية ، فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالم متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطردة . (٣)

وعرف جان كوهن البنية الشعرية بأنها مجموعة العلاقات المعقودة بكل عنصر داخل النسق ، ومجموع هذه العلاقات هو الذي يسمح بأداء وظيفته اللغوية . (٤)

وقد تنبه النقاد العرب القدماء لهذه المسألة وإن لم تنفرد عندهم بمصطلح نقدي ، فقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أن النص ليس مجموعة من الألفاظ ، بل مجموعة من

---

(١) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، دار الشروق ، ط ١ ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٢) مشكلة البنية وأضواء على البنيوية ، زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٣٣ .

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، يوسف بكار ، دار الاندلس ، بيروت ، ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٦ .

(٤) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، الدار البيضاء ،دار توبقال ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧ .

العلاقات ، وعلي هذا الأساس تبدو فكرة النظم عنده بنائية ، لأن الألفاظ لا تؤدي معناها مجردة في النص بل مرتبطة بمجموعة من الألفاظ . [1]

والحق أن بنية القصيدة العربية لم تصمد في وجه رياح التغيير ، ولكن هذا التغيير لم ينفذ في عمق النسيج الداخلي الفني حتى يتمكن الباحث من الحديث عن نقلة نوعية في تحولات القصيدة العربية .

ولكن هناك بعض التحولات التي حدثت للقصيدة العربية شأنها في هذا شأن الشعر العالمي كالتحول الذي حدث في العلاقة بين المرسل والمتلقي والتحول في اللغة والتحول في النظام الموسيقي .

وعموماً فإن التجديد في الشعر ظاهرة طبيعية تطورية في كل زمان ومكان ، وقد وجدت في تاريخ الشعر العربي مظاهر تجديدية كثيرة بدءاً من بشار بن برد الذي كان أول المحدثين وآخر القدماء إلى أبي نواس الذي تمرد على نهج القصيدة ثم كانت ثورة أبي تمام الفعلية على (عمود الشعر) ولذلك وقف علماء اللغة يهاجمون ثورته هذه ، وعلى رأسهم ابن الأعرابي . [2]

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢) أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق خليل محمود عساكر وزميليه ، بيروت ، (د . ت) ، ص ٢٤٤.

أولاً : المكان في القصيدة السعودية :

عندما يخلد الشعراء ذكرياتهم في قصائدهم بذكر المكان والطلل فإن هذا دليل على الأهمية البالغة للمكان ، كما نجد عند معظم الشعراء العرب في العصور القديمة في مقدمة قصائدهم بما يسمى بالمقدمة الطلية .

والمقدمة الطلية اصطلاحاً : هي تلك الأبيات الشعرية التي يستهلها الشاعر في قصيدته الشعرية بالوقوف على الأطلال قبل أن يدخل في موضوع قصيدته ، وقد عرف هذا النمط من الشعر عند العرب منذ العصر الجاهلي وما بعد من العصور مع ما جرى على هذه المقدمة من تطور وتغيير كاستبدالها بمقدمة خمرية ومنهم من ثار عليها ورفضها .

واعتبر بعض دارسي الأدب القديم أن القصيدة التي تخلو من هذه المقدمة هي قصيدة مبتورة غير مكتملة ، ولم تتزي بالزي الجاهلي المعهود ، يقول ابن قتيبة : " إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار فشكى وبكى ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها " . [1]

ويرى بعض الدارسين أن الوقوف على الطلل كان مجرد تقليد شعري فني ، ومهما تكن الأسباب الداعية لهذه المقدمة فإن مجرد حضورها يعطي انطباعاً كبيراً لأهمية المكان وحضوره في نفس الشعراء منذ القدم .

---

(١) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، ١٣٨٦ هـ ، دار المعارف بالقاهرة ، ص ١٧٥ .

ولم يكن الشعر السعودي خالياً من احتفائه بالمكان ، بل كان مليئا جداً به متغنياً ومحتفياً ومستوحياً لمعاني عديدة من خلاله ، وسيتم تناول المكان في القصيدة السعودية من خلال ثلاث تقسيمات :

أ) المكان قصيدة كاملة .

ب) المكان جزء من قصيدة .

ج) المكان كرمز في القصيدة .

أ) المكان قصيدة كاملة :

تطالعنا في دواوين الشعراء السعوديين قصائد عديدة كتبت عن المكان ، وكان موضوعها الأوحد هو المكان فقط ، مما يوحي للقارئ بارتباط الشاعر بهذا المكان الذي لم يجعله جزءاً من قصيدة أو اتخذه مجرد رمز لمعنى في نفسه ومن أمثلة هذا النوع قصيدة للشاعر حمزة الشريف بعنوان (باحة الأحباب) ، يقول فيها :

إلى باحة الأحباب طرفي مشوق ... إلى غابة والماء فيها يصفق
يعيد علي الشعر من نفحاتها ... فأنظمة إني إذن الموفق
وفيها من الإلهام شدو وهمسة ... وفيها من الذكرى (عقيق ومندق) [1]

---

(١) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٢٦ .

وتمضي القصيدة كاملة تتحدث عن الباحة وجبالها وغاباتها وأوديتها ، ثم يدخل في أمكنة جزئية داخل هذا المكان الأكبر كرغدان والحمران وحزنة والمخواة وقذانة .

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قصيدة للشاعر (عبد الله الزمزمي) بعنوان (يا وطن) :

وطن وألف قصيدة ويظل وجهك يا وطن

أحلى من الكلمات تزهو فوق أشرعة الزمن

أو طائرين تجاذبا لغة الغرام على فنن[1]

فالوطن لدى الشاعر أعظم من الكلمات والشعر لذا قدم اعتذاره رغم أنه خص الوطن بقصيدة كاملة .

ولقد احتفى الشاعر ماجد الغامدي بالباحة بقصيدة كاملة عنوانها ب (صحب السلاطين) يقول فيها :

يا باحة البرد يا ورداً أفارقة من النحاسة بين الحين والحين
يا عاذلي في هواها لست تعرفها فهي الحسيبة بل أم الرياحين[2]

ونجد أيضاً عند الشاعر شتيوي الغيثي قصيدة كاملة يتغنى بجدة في قصيدة سماها (يا جدة الحب) ، ويبث في هذا القصيدة بعض همومه الاجتماعية والإنسانية ، يقول :

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، سبق ذكره ، ص ١٥٦ .

(٢) حيث مر الغيم ، ماجد الغامدي ، سبق ذكره ، ص ١٢٧ .

يـا جـدة الحـب يـا صـوت المـزامير ويـا عروسـاً علـى بحـر مـن النـور
عرفـت حسـنك يـا حسـناً يخـامرني عرفـت طيفـك عـن بعـد كمسـحور
يـا جـدة الشـعر يـا حزنـا يسـامرني يـا سـحبة السمسـميات المكاسـير[1]

ويمضي الشاعر في قصيدته متغنياً بجدة عاشقاً تارة في مثل قوله :

أنـا المتـيم مـن رمـل النفـود سـرى بعضـي إليـك ومـائي جـف في الـبير[2]

وساخطاً تارة أخرى في مثل قوله :

يـا جـدة الوجـع المحفـور في كبـدي مـاذا تبقـى لأشـعاري ومنثـوري[3]

وراجياً تارة في مثل قوله :

ناديـت : يـا وطـني يـا نخلـة بفمـي هـلا أزلـت عـذابات العصـافير[4]

وهذا النوع كثير جداً وذلك لأن أكثر الشعراء السعوديين يقومون باحتذاء الشعر القديم الذي هو أيضاً احتفى بالمكان بقصائد كاملة مطولة .

---

(١) ديوان لا ظل يتبعني ، شتيوي الغيثي ، سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

ب) المكان جزء من قصيدة :

هناك شعراء ذكروا المكان عرضاً من خلال قصائد لم تكن موضوعة أصلاً للحديث عن المكان ، فهذا الشاعر حسن محمد الزهراني في ديوانه (هات البقية) وفي قصيدة (وصية الوردة البيضاء) التي يتحدث فيها عن ابنته نوره في يوم فرحها المحزن كما وصفه يقول :

أتذكرين حصاناً تمتطين به تهوين في سائر الأحيان طيش صبا
ومقعداً مخملي العطف من كتفي والمهد حضن بديباج الحنان ربا
في كل شبر بهذا البيت قد رسمت يداك ذكرى صفاء سابق سلبا[1]

فالقصيدة تتحدث عن عاطفة الأب تجاة ابنته التي ستنتقل من كنفه إلى كنف الزوج ولكن القصيدة حملت بين أبياتها أبياتاً تتحدث عن المكان عرضاً ، وحملت هذه الأمكنة معاني لم يكن للشاعر أن يصل إليها ويبينها دون ذكرها بهذا التفصيل .

وحملت قصيدة عبد الله باشراحيل (صبوة خاطئة) أبياتاً تحدثت عن المكان على رغم أن القصيدة لم تكن في الأصل موضوعة للحديث عنه ، فنجده يقول في ديوانه (الأعمال الشعرية) :

ألا تذكرين الروض حين يحفنا وأنسامه في رجع أنفاسنا يسري

---

(١) هات البقية ، حسن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ٩٦ – ٩٧ .

وحـدثتني عـن أيكـة العشـق والهـوى وفارسـك الآتـي علـى الخيـل في الفجـر
وإنـــك أســـرجت المهامـــه حولـــه وأســكنته قلبــاً أشــف مــن الشــعر[1]

ونجد عند محمد الثبيتي أيضاً قصيدة تفعيلية بعنـوان : (شـهر زاد والرحيـل في أعمـاق الحلم) عرض للمكان بصورة كالإضاءة السريعة ، فيقول :

تناثرت بين المدينة والبحر

والشاطيء القزحي

الذي أقلعت منه أشرعة السندباد

وجاءت مراكبك المخملية

حالمة كمياه الخليج

وصاخبة كصهيل الجياد

تحيلين ليل المدينة

أسئلة وهموماً

ورتلاً من العاشقين [2]

---

(١) الأعمال الشعرية الكامة ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص٣١١ .

(٢) ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة ، محمد الثبيتي ، سبق ذكره ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

فالمدينة والبحر ومياه الخليج أمكنة تطل برأسها في رحاب هذه القصيدة التي كانت في الأصل حديثاً عن الأنثى (شهر زاد) [1]

ج) المكان كرمز في القصيدة :

قد يستدعي الشاعر المكان في قصيدته كرمز يرمز به إلى معنى معين يبث من خلاله ما يريده من مضامين لم تكن لتصل للقارئ أو السامع لولاه ، كما فعل الشاعر عبد الله الزمزمي في قصيدته (وقفة أمام قبر خالد بن الوليد) والتي يقول فيها :

يا مسجى من بعد طول الجهاد كيف ألفيت طعم هذا الرقاد
هل سمعت النداء يسري جريحاً وأسى السيف والقنا والجواد
هل يثار الغبار يوماً وتعلو راية الحق رغم كيد الأعادي [2]

وهنا يجعل الشاعر وقفته ومخاطبته لقبر الصحابي الجليل خالد بن الوليد وسيلة لبيان ما في نفسه من ضعف حيال تسلط الأعادي على الحق و أهله .

ولم يكن قبر خالد بن الوليد هنا مقصوداً لذاته إنما هو رمز لفقدان معنى القوة والثبات في ساحات الجهاد في سبيل الله فنجده يقول :

---

(١) ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة ، محمد الثبيتي ، سبق ذكره ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، سبق ذكره ، ص ١١٥ .

يـا حبيـب الجهـاد كـم مـن خيـول تشـتكي أسـرها بغـير قيـادي [1]

ثانياً : الصورة :

تعريف الصورة :

هناك صعوبة في إيجاد تعريف شامل للصورة ، كما تكمن هذه الصعوبة أيضاً في كثير من المصطلحات الفنية الأدبية " فالوصول لمعنى الصورة ليس باليسير الهين ، ولا السهل اللين ، ومن قال ذلك فقد احتجبت عنه أسرار اللغة وجمالها المكنون المستتر ، وروحها المتجددة النامية ، وليس لها – كما عند المناطقة – حدود جامعة ولا قيود مانعة ". [2]

ولعل من أسباب خفاء هذا المصطلح أن الصورة أمر متعلق بجماليات الأدب واللغة ، والتطور الحادث في هذين الأمرين لا يلغي القديم بل يتعايش معه ويسير بجانبه ، ولأن هناك دلالات مختلفة للصورة ولارتباط مفهوم الصورة بالإبداع الشعري فقد فشلت المساعي التي تحاول تحديده وتقنينه ، ولعل نقل النظرة الغربية للصورة إلى النصوص العربية في عبارات فضفاضة غير منطقية ساهم في خفاء هذا المصطلح أيضاً .

ولكن مع هذه المقدمة نجد أن هناك من تحدث عن الصورة في النقد القديم ، فهذا الجاحظ يشير إلى الصورة من خلال نظرته للشعر والإشارة إلى الخصائص المتوفرة فيه ، فعندما بلغه أن أبا عمرو الشيباني استحسن بيتين من الشعر لمعناهما مع سوء عبارتهما ، علق

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي علي صبح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت ، ط ١ ، ص ٥ .

برأيه أن (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير). [1]

وهذا النص الذي يشير إلى التصوير يبين أهمية جانب التجسيم وأثره في إغناء الفكر بصور حسية قابلة للنمو والحركة .

ولا شك أن البلاغين قد أفادوا من هذه المقولة للجاحظ " وحاولوا أن يصبوا اهتماماتهم على الصفات الحسية في التصوير الأدبي وأثرة في إدراك المعنى وتمثله ، وأن اختلفت آراؤهم وتفاوتت درجاتها . [2]

وكذلك نجد عن قدامة بن جعفر قوله في معرض الكلام عن الشعر : " ومما يجب تقدمته وتوسيده – قبل ما أريد أن أتكلم فيه – أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، وإذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها : مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة ، وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة ، والرفث والنزاهة

---

(١) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م ، ج ٣ ، ص ١٣ .

(٢) الصورة الفنية معياراً نقدياً ، عبد الإله الصائغ ، دار القائدي ، ليبيا ، د . ت ، ص ١٧٠ .

والبذخ والقناعة ، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة " . [1]

فهنا نجد أنه قد جعل للشعر مادة وهي المعاني ، وصورة وهي الصياغة اللفظية ، والتجويد في الصناعة " فلقد تناول قدامة مقومات الصورة في الشعر ، ولم يكتف في هذا التناول بصحة اللفظ و التركيب ، وسلامة الوزن ، واتساق القافية مما يعد أموراً جوهرية لبناء هيكل الشعر ، بل وقف عند مسائل عرضية تعد مظهر اقتدار الشاعر على الابتكار والإبداع " . [2]

وتحدث أيضاً عبد القاهر الجرجاني عن الصورة في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) فمن إشارته إليها قوله : " ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً " . [3]

ونراه يقول أيضاً في دراسته للصورة " واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمة بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة ذاك ، وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن أبتدأناه فينكره منكر ، بل هو

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ٦٥ – ٦٦ .

(٢) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، بدوي طبانة ، الامجاد المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٩ م ، ص ٣٤٢ .

(٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هـ . رتير ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م ص ٤١ .

مستعمل في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : " وإنما الشعر صناعة ، وضرب من التصوير " . [1]

وأيضاً نجد الصورة عند حازم القرطاجني وهو يتحدث عن التخييل الشعري ، فيقول " والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها ، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض " . [2]

وكذلك نجد أن هناك عدداً من النقاد في العصر الحديث قد تناولوا الصورة في دراساتهم وكتبهم ، فهذا مصطفى ناصف يعرف الصورة بقولة " إنها منهج فوق المنطق لبيان حقيقة الأشياء " . [3]

ونجد عند الناقد الكبير محمد غنيمي هلال تعرضه لفلسفة الصورة عند المذاهب الأدبية ، وأوضح أن النظرة القديمة للخيال كانت عقبة في سبيل فهم الصورة ، لأنهم أي القدماء – لم يفرقوا بين الوهم والخيال .

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ص ٥٠٨ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ م ، ص ٨٩ .

(٣) الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤ م ، ص ٨ .

ثم تحدث عن الخيال عند الرومانتيكيين واستعرض وجهات نظر نقادها ، واستخلص أن الشاعر عند الرومانتيكيين يستعين على جلاء الصور بالطبيعة ومناظرها مع احتفاظ الفنان بأصالته ، وأما عند السرياليين فإنهم يعنون بالصور الشعرية ذات الدلالة النفسية ، ويرون في الصورة العنصر الجوهري في الشعر ، وهي نتاج الخيال ، وعن طريق الصور يصل الشاعر إلى تثبيت العلاقات التي تصل ما بين الأفكار والأشياء ، وما بين المادة والحلم ، والمحسوس والعاطفة . [1]

وعندما نقرأ لنعيم اليافي فسنجد أنه يرى أن وظيفة الصورة في شعر المدرسة التقليدية هي الشرح والتوكيد والتوضيح ، والتزيين والتزويق والزركشة ، كما تتصف الصورة عندهم بالشكلية ، الوصفية ، والتفكك ، التراكم ، التناقض . [2]

ويرى أيضاً أن من وظائف الصورة في الشعر الرومانسي : التأثير والإيحاء ، والإضافة ، كما بين خصائص الصورة الرومانسية وهي : الإسقاط ، والامتداد ، والنمو ، والترابط والتكامل ، وتحدث أيضاً عن الصورة في الشعر الحر .

---

(١) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د . ت ، ط ١ ، ص ٣٨٨.

(٢) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، نعيم اليافي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، ١٩٨٣ م ، ص ١٦ .

ثالثاً : يمكن تقسيم الصورة البيانية إلى العناصر التالية :

أ) التشبيه في شعر المكان السعودي :

زخر الشعر السعودي الذي يتحدث عن المكان بالعديد من صور التشبيه ، وفي الغالب نجدها تقليدية نظراً لتأثر الشعراء السعوديين بالشعر العربي القديم ، وقبل أن نورد نماذج لبعض هذا التشبيهات يجدر بنا أن نعرف بهذا الفن من علم البلاغة العربية فالتشبيه كما يقول جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني " هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، والمراد بالتشبيه هنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ، فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا زيد كالأسد " . (١)

وجاء في كتاب جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي أن تعريف التشبيه لغة " هو التمثيل ، يقال : هذا شبه هذا ومثيله ، واصطلاحاً : عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم للعلم " . (٢)

والشعر السعودي هو امتداد للشعر العربي القديم الذي كان مليئاً بصور التشبيه التي كان أكثرها تقليدية ، ولكنا نجد في ديوان عطر تهامي لحمزة الشريف هذه الصورة وهذا

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، شرح الدكتور على بوملحم ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ،ص ١٨٩ .

(٢) جواهر البلاغة ، السيد احمد الهاشمي ، تحقيق ، الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م . ص ٢٨١ .

التشبيه الذي حاول من خلاله أن يبدع فيها ، يقول من قصيدته (عطر تهامي) التي يتغنى فيها بتهامة :

والعطر وهو نداء الحس يلثمه كما تداوى بلثم الثوب يعقوب[1]

فشبه لثم الحس للعطر بلثم يعقوب لثوب يوسف عليهما السلام ، ويصاحب هذا التشبيه ما في صورة لثم نبي الله يعقوب لثوب يوسف من لهفة وأبوة وحنان .

ونجد أيضاً التشبيه حاضراً لدى الشاعر أحمد المنعي في ديوانه (الحب كله) ، في قصيدته (الدانة والخليج) التي يقول فيها :

جلست هناك

وجه به صفو السماء

وحمرة الحلم الخجول

وبعض أحزان الأصيل

وجه أطل على الخليج كأنه

شفق يقابله شفق . [2]

فشبه الوجه والخليج بالشفق .

---

(١) عطر تهامي ، حمزة أحمد الشريف ، سبق ذكره .

(٢) الحب كله ، أحمد المنعي ، سبق ذكره ، ص ٤٧ .

ب – الاستعارة :

الاستعارة لغة : من قولهم ، استعار المال : إذا طلبه عارية .

واصطلاحاً : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً ، ولكنها أبلغ منه ، فأصل الاستعارة : تشبيه حذف أحد طرفيه ، ووجه شبهه وأداته ، ولكنها أبلغ منه ، لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة ، فلا بد فيه من ذكر المشبه ، والمشبه به ، وأن العلاقة ليس إلا التشابه والتداني ، فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وإن المشبه والمشبه به صار معنى واحداً ،يصدق عليهما لفظ واحد ، فالاستعارة (مجاز لغوي) لا عقلي ، علاقته المشابهة " . [1]

يقول الشاعر إبراهيم مفتاح في ديوانه (رائحة التراب) وفي قصيدته (وطن على صدور الأوسمة) :

وفي ثـــراك مـــن التـــاريخ أوسمـــة تلملـــم الشـــمس أعراســـاً وتنطلـــق [2]

فنجد الاستعارة في قوله (أوسمة) إذ حذف المشبه بـه وهـو الرجـل البطـل الـذي تعلـق الأوسمة على صدره ، ولا شك أن هذا التعبير أبلغ من قائل يقول أن الوطن كالرجل البطل

---

(١) جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، سبق ذكره ، ص ٣٤٨ .

(٢) ديوان (رائحة التراب) ، إبراهيم مفتاح ، سبق ذكره ، ص ٨ .

الذي دلت الأوسمة على بطولته وشهامته وعندما نطالع ديوان (قلب في أبها) للشاعر تركي العصيمي نجد الاستعارة حاضرة في قصيدة (قلب في أبها) ، إذ يقول :

سأطوي شبابي دون لهوي ولذتي فلا أنا بالباقي ولا بالمخلد[1]

فالشباب عبارة عن كتاب يطوى ، وقد حذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه وهو الطي.

وكذلك نجد الاستعارة في ديوان (الأماني الذابلة) لشريفة أحمد الزهراني في قصيدة (أنة القدس الأسيرة) :

رحل المناضل والمدافع والسجين .

ومعنى وخلف إرثه .

ألم على خد المحابر يلجم الأوراق في جوف الكتاب . [2]

فالمحابر عبارة عن رجل وقد حذف في هذه الصورة .

وجاء شيء من لوازمه وهو (الخد) .

وتطالعنا الاستعارة في ديوان (أوصاب السحاب) عند الشاعر حسن الزهراني من قصيدة (بيرق السروات) في قوله :

---

(١) قلب في أبها ، تركي العصيمي ، سبق ذكره ، ص ١٦٣.

(٢) الأماني الذابلة ، شريفة الزهراني ، سبق ذكره ، ص ٥٩ .

جبل تعب جذوره

من غابر التاريخ

تنسج قلعة الأمجاد

من عقم الليالي [1]

فحذف المشبه به (الأنثى) واستعار شيئاً من لوازمها وهو (العقم) .

وكذلك نجد الاستعارة حاضرة لدى الشاعر بهاء بن حسين عّزي في قصيدة (سرية الهوى إلى أبها) من ديوان (ذو العصف والريحان) فيقول :

متغنياً بأبها :

تغـــري بعـــذب رضـــاب مـــا للذتـــه مثـــل فـــآلفن نحـــلاً لم يفلســـفها [2]

فهو شبه أبها بالحسناء ولكنه حذف المشبه بـه (الحسناء) واكتفى بـذكر شـيء مـن لوازمها على سبيل الاستعارة وهو (عذب الرضاب) .

ج) الكناية :

الكناية كما هو معروف عند علماء البلاغة : لفظ أريد به غـير معنـاه الـذي وضـع لـه ، ومع جواز إرادة المعنى الأصلي ،لعدم وجود قرينة مانعه من إرادته ، مثل " زيـد طويـل

---

(١) ديوان (أوصاب السحاب) ، حسن محمد الزهراني ، سبق ذكره ، ص ٩٧ .

(٢) ديوان (ذو العصف والريحان) ، بهاء بن حسين عزي ، سبق ذكره ، ص ١٩٧ .

النجاد " يراد بهذا التركيب أنه شجاع قوي ، فعدل عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه ، فطول حمالة السيف يستلزم طول صاحبه ، ويستلزم طول الجسم الشجاعة غالباً .

وقد حددها السكاكي في كتابه المفتاح بقوله : (الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك) . [1]

يقول الشاعر حمزة احمد الشريف مستخدماً أسلوب الكناية في معرض حديثه ومناجاته للوطن ، من قصيدة (الوطن في عيوني)

فلتعش يا ثرى البطولة تاجاً دربك العز قد تسامى انتهاجا[2]

ثرى البطولة كناية عن موصوف وهو الوطن .

كما نجد الكناية في قول الشاعر عبد الرحمن معيض سابي الغامدي في قصيدته (بغداد) من ديوانه (مجموعة أوجاع أنثى) :

يا أم هارون في الأعماق أسئلة من الجراح التي تعلو محياك [3]

---

(١) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف السكاكي ، تحقيق د . أكرم عثمان يوسف ، منشورات جامعة بغداد مطبعة دار الرسالة ، ط ١ ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م . ص ١٨٩ .

(٢) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكرة ، ص ٥٨ .

(٣) مجموعة أوجاع أنثى ، عبد الرحمن معيض الغامدي ، سبق ذكره ، ص ٨١ .

فأم هارون هنا كناية عن بغداد .

وعندما نتصفح ديوان شتيوي الغيثي وقصيدته (يا جدة الحب) تحديداً نجد أنه قد استخدم الكناية في قوله :

يا أخت مكة هل كان الهوى لعباً أم كان شوقاً يداري بعض تقصيري[1]

فأخت مكة كناية عن جدة .

ونجده في نفس القصيدة استخدم الكناية في التعبير عن عدم استفادة الشعوب العربية من خيرات أرضها وثرواتها الطبيعية والبترولية في قوله :

النفط أنشودة الأطفال في فمنا وما شربنا سوى رمل الطباشير [2]

فرمل الطباشير كناية عن ضياع حقوق الشعوب من ثروات بلدانها .

التشخيص :

هو أن يأتي المتكلم بصفة من صفات الأشخاص الأحياء ويلصقها على جامد أو هو خلع الصفات الإنسانية على مظاهر الطبيعة الجامدة ، وجعلها حية يحس وتتحرك وتنبض[3] ، كقول البحتري :

---

(١) ديوان (لا ظل يتبعني) ، شتيوي الغيثي ، سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) بناء القصيدة الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، ص ٨٥.

أتــاك الربيــع الطلــق يختــال ضــاحكاً مــن الحســن حتــى كــاد أن يتكلمــا

فالاختيال والضحك من صفات الإنسان ولكنه بأسلوب التشخيص جعلت للربيع

ويعرف أيضاً بأنه إبراز المعنى المجرد أو الشيء الجامد كأنه شخص ذو حياة .

يقول الشاعر عبد الله الزمزمي في ديوانه (المجموعة الشعرية الكاملة) في قصيدته (يا دار)

ضــحك الربيــع وهيجتــه حمامــة في شــدوها الإغــراء والإطــراب [1]

وهو في البيت هذا ينظر إلى بيت البحتري سابق ذكره .

وكذلك نجد التشخيص في قصيدة الشاعر محمد عائض القرني (بلد التوحيد) من ديوانه (حين تسافر القافلة) ، يقول :

هنــا رقــص الشــوق الطــروب ولم يــزل نــدي الــرؤى ينســاب عــبر خــواطري [2]

فالرقص من صفات الإنسان ولكنه جعله للشوق مستخدماً أسلوب التشخيص .

وكذلك يحضر التشخيص عند الشاعر حسن الصميلي في ديوانه (بعض معاني السماء) وفي قصيدة مدائن الغربة ، فنجده يقول واصفاً مدائن الغربة :

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، عبد الله الزمزمي ، سبق ذكره ، ص ١٤٣ .

(٢) حين تسير القافلة ، محمد بن عائض القرني ، سبق ذكره ، ص ١١٢ .

وتمـــــــر أشـــــــباح مزمجـــــــرة تـــؤذي الســـكون وتجـــرح الخطـــرا
ووراءهـــا يجـــرى الـــدخان علـــى ضـــيق الصـــدور ملطخـــاً قـــذرا [1]

فقد خلع صفة الجري والتي من صفات الإنسان على (الدخان) .

خامساً : الإيقاع :

إن الشعر الماثل بين يدي ينقسم إلى قسمين : [2]

الشعر التقليدي والشعر التفعيلي ، مع ملاحظة أن الأول كان أكثر ظهوراً ، ربما أن الشعراء الذين عنوا بالمكان كانوا أكثر تقليدية والتزاماً منهم من شعراء التفعيلة ، ومع ذلك فإن الشعر التفعيلي له وجوده ، على أن الملاحظ أنه أكثر ظهوراً لدى جيل من الشعراء هم أقرب إلى التحديث ، وقبل أن آتي بأمثلة على هذين التيارين سأشير إلى أن الشعر التقليدي له ايقاع مختلف يمكن تقسيمه إلى :

أ) داخلي :

١ – الترصيع :

هو اتفاق قافية الشطر الأول من البيت الأول مع قافية القصيدة ويكون في البيت الأول ويندر أن يقع في غيره كالترصيع في قول المتنبي :

---

(١) ديوان (بعض معاني السماء) ، حسن الصميلي ، سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(٢) ممن أشار إلى هذا التقسيم كمال أبو ديب في كتابه في البنية الايقاعية للشعر العربي الحديث ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٨١ ، ط ٢ .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

ولا تكاد تخلو قصيدة سعودية من التصريع ذلك بإن هذا الشعر وثيق الصلة بالشعر القديم ومظاهره ، فهذا الشاعر إبراهيم مفتاح يبتدئ قصيدته (وطن على صدور الأوسمة) بالتصريع :

هذي المفاتن في عينيك تأتلق وفي لحاظك هذا السحر والألق[1]

والأمثلة لهذا الفن كثيرة جداً .

٢) الجناس :

وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى ، وهو نوعان :

جناس تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي : نوع الحروف ، وشكلها ، وعددها ، وترتيبها .

مثل قول الله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يقسم الجرمون ما لبثوا غير ساعة " .

---

(١) ديوان رائحة التراب ، إبراهيم مفتاح ، سبق ذكره ، ص ٨٥ .

جناس ناقص : وهو ما اختلف في واحد من الأمور الأربعة السابقة ، مثل : قول الله تعالى : " فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر " .

يقول الشاعر محمد بن عائض القرني في قصيدة (فلوجة الأمجاد) وقد جمع النوعين معاً ، الجناس التام في قوله :

فكنت في يوم الوغى شهباً أرسلها من جده الجد [1]

فالجد الأولي بمعنى أب الأب والثانية بمعنى الشرف والسؤدد .

والجناس الناقص في قوله :

يداك والبارود والزندُ والمسك والكافور والرندُ[2]

فالزند والرند جناس ناقص اختلفا في حرف واحد .

٣) رد العجز على الصدر :

وهو أن يجعل الشاعر أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين ، أو ما هو ملحق بالمتجانسين في واحد من الوجوه التالية :

---

(١) حين تسير القافلة ، سبق ذكره ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

الوجـه الأول : أن يكـون أحـدهما في آخـر البيـت ، والآخـر في أول الشـطر الأول كقـول الأقيشر :

سـريع إلى ابـن العـم يلطـم وجهـه ولـيس إلى داعـي النـدى بسـريع

الوجه الثاني : أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخـر في آخـر الشـطر الأول ، كقـول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فمازلـت بـالبيض القواضـب مغرمـا

الوجه الثالث :

أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخر في حشو السطر الأول كقول الصمة القشيري :

أقـول لصـاحبي والعـيس تهـوي بنـا بـين المنيفـة فالضـمادِ
تمتـع مـن شمـيم عـرار نجـد فمـا بعـد العشـية مـن عـرار

الوجه الرابع :

أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخر في أول الشطر الثاني كقول ذي الرمة :

ألّـا علـى الـدار الـتي لـو وجـدتها بهـا أهلـها مـا كـان وحشـاً مقيلـها
وأن لم يكـن إلا معـرج سـاعة قلـيلاً فـإني نـافع لـي قليلـها

يقول الشاعر غازي القصبي في قصيدته (مصر) من ديوانه (البراعم) :

أمصـــر وكنـــت لـــي حلمـــاً جمـــيلاً وهـــا قـــد حقـــق الحلـــم الجميـــل [1]

فحلم جميل تكررت في آخر الصدر وفي آخر العجز .

٤ – الاقتباس :

هو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما ، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلاً ، كقول الحريري : " فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب " وكقول الشاعر :

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف

ثم اهتدى ثم انتهي ثم اعترف

أبشر بقول الله في قرآنه

(إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)

جاء في قصيدة الشاعر إبراهيم مفتاح (بيش بعد الغياب) هذا النوع من ديوانه (رائحة التراب) يقول :

---

(١) البراعم ، غازي القصيبي ، سبق ذكره ، ص ٥٤ .

رمـــت إلـــي ســـؤالاً فـــوق ســـاحلها يـــا مـــن أتـــى مـــن بعيـــد يقتفـــي أثـــري
" اركـــض برجلـــك هـــذا " موعـــد وغـــداً ســـنلتقي هـــا هنـــا في موســـم المطـــر[1]

وفي قوله (اركض برجلك هذا) اقتباس لقوله تعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) .

ب) خارجي :

١ – الأوزان :

الشعر بلا وزن يفقد قيمته ويصبح عندئذ كلاماً عادياً لا يطرب النفس ، فالوزن بما يحله من موسيقى تجعل السامع يتتبع تنغيمات وتقطيعات تفاعيل القصيدة هو السبب في رفع قيمة الكلام الذي نسمية شعراً بالإضافة إلى المعنى بلا شك ، فكلام ذو معنى بلا وزن يخرج عن دائرة الشعر ووزن بلا معني أيضاً يخرج عن دائرة الشعر .

ومن المعلوم أن العرب نظموا الشعر منذ أمد بعيد بلا معرفة بما يسمى بالأوزان أو البحور والتفاعيل والقوافي تماماً كما كانوا يجيدون الكلام الفصيح بدون دراسة للنحو والصرف ، فكل هذه العلوم ظهرت بعد ظهور الإسلام عندما دخل الأعاجم الإسلام وبدأت سليقة اللغة في الانحراف .

ولا يخفى أن الخليل بن أحمد هو من عكف على دراسة الشعر حتى هداه الله لعلم العروض وتفريعاته المختلفة .

---

(١) رائحة التراب ، إبراهيم مفتاح ، سبق ذكره ، ص ٧٩ .

وعند دراسة شعر المكان في الشعر السعودي وجد الباحث أنه أي شعر المكان – ما هـو إلا امتداد طبيعي لما عرفة الشعراء من قبل في العصور السابقة فلم يخرج الشعراء السعوديون كثيراً عن الأوزان الخليلية المعروفة إلا القليل الذين نظموا شعر التفعيلة والذي هو أيضاً خارج من رحم البحور الخليلية بتكرار تفعيلة واحدة بأنساق مختلفة .

ووجد الباحث من خلال ما اعتمده من قصائد في شعر المكان السعودي أن البحور التي نظم عليها الشعراء السعوديون هي ، بحر البسيط والكامل والوافر والرجز و الرمل والخفيف والمتقارب والطويل ، وأن أكثر هذه البحور استخداماً هو البحر البسيط ثم البحـر الكامـل ثم الرمل والخفيف ثم الرجز ثم الطويل ثم الوافر والمتقارب .

ومن أمثلة البحر البسيط قصيدة (سرية الهوى إلى أبها) لبهاء بن حسين عزي يقول :

إن شـفك الوجـد فانهـل مـن لمـى أبهـا فمـن لماهـا الشـفا للقبلـة الـولهى[1]

وكذلك قول الشاعر محمد بن عائض القرني في قصيدته بلقرن :

تزينـت فهـي يـاقوت وعقيـان هـذى الربـوع اسـتوى سـهل وبسـتان[2]

وتذكرنا هذه القصيدة بقصيدة أبي البقاء الرندي الشهيرة في رثاء الأندلس :

لكل شيءٍ إذا ما تمّ نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسانُ

---

(١) ديوان (ذو العصف والريحان) ، بهاء بن حسين عزي ، سبق ذكره ، ص ١٩٥ .

(٢) ديوان (حين تسير القافلة) ، محمد بن عائض القرني ، سبق ذكره ، ص ٧٦ .

ومن أمثلة البحر الكامل قصيدة الشاعر مسفر العدواني (بغداد الرشيد) من ديوانه جمر الأنين يقول :

لا تلتفـــت لرســـائل التهديـــد واضـرب بسـيف الحـق كـل حقـود[1]

ومن أمثلة البحر الوافر قصيدة (مصر) لغازي القصيبي من ديوانه براعم يقول :

ســـلام أيهـــا الـــوادي النبيـــل وعاطفـــــة وودٌ لا يـــــزول[2]

ومن أمثلة بحر الرجز قصيدة (دمعة على وادي كشمير) لعبد الرحمن العشماوي من ديوان : (جولة في عربات الحزن) يقول :

البـــاب في وجهـــك لم يوصـــد والنـــار في ثوبـــك لم توقـــد[3]

ومن أمثلة بحر الرمل قصيدة (جدة قطر الندى) للشاعرة نجاة الماجد من ديوانها (الجرح إذا تنفس) :

يـا عـروس البحـر يـا قطـر النـدى في هـواك بـات قلـبي منشـدا
أي حســـن أي فـــن ســـاحر قـد تجلـى فيـك واجتـاز المـدى [1]

---

(١) ديوان (جمر الأنين) ، مسفر العدواني ، سبق ذكره ، ص ٣٥ .

(٢) ديوان (البراعم) ، غازي القصيبي ، سبق ذكره ، ص ٥٧ .

(٣) ديوان (جولة في عربات الحزن) ، عبد الرحمن العشماوي ، سبق ذكره ، ص ٣٢ .

ومن أمثلة بحر الخفيف قصيدة (العراق جمرة القلب) للشاعر ماجد الغامدي من ديوانه (حيث مر الغيم) ، يقول :

جمـــرة القلـــب أو قـــدتها الضـــلوع مـــن لظاهـــا كحـــلُ الأســـى والـــدموع [٢]

ومن أمثلة البحر المتقارب قصيدة (يا نيل) للشاعر غازي القصبي من ديوانه (البراعم) يقول :

رحلـــت وخلفـــت بـــا نيـــل قلـــبي يطـــوف علـــى الشـــاطئ الأخضـــر [٣]

ومن أمثلة البحر الطويل قصيدة (باحة الأحباب) للشاعر حمزة الشريف من ديوانه (عطر تهامي) يقول :

إلى باحـــة الأحبـــاب طـــرفي مشـــوق إلى غابـــة والمـــاء فيهـــا يصـــفق [٤]

وأما قصيدة التفعيلة فقد لاحظتُ من خلال كثير من النصوص الظواهر الإيقاعية التالية :

---

(١) ديوان (الجرح إذا تنفس) ، نجاة الماجد ، سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(٢) ديوان (حيث مر الغيم) ، ماجد الغامدي ، سبق ذكره ، ص ٥٢ .

(٣) ديوان (البراعم) ، غازي القصيبي ، سبق ذكره ، ص ٧٣ .

(٤) ديوان (عطر تهامي) ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٦٦.

١) إنّ بعضها كان يلتزم ببحر معين مثل قصيدة (بلاد الواق الواق) لأحمد سالم باعطب الذي التزم ببحر واحد في كل القصيدة ، وهي من بحر (الرمل) يقول :

شدني عزفك في ليل النوى

والأهازيج التي أرسلتها

عبر أنفاس الضحى

أيقظت في مهجتي نار السكون

لم أكن أعلم أن الحب في الغربة يزداد لهيبا

قبل أن يجتاجني تيار حبك [١]

وكذلك نجد قصيدة التفعيلة من هذا النوع موجودة وحاضرة عند شتيوي الغيثي في قصيدة (صديقتي بيروت) : وهي من بحر الرجز يقول :

بيروت يا صديقة المساء

بيروت يا جميلتي

يا لغة زكية تسبح في الهواء

بيروت أحلى امرأة تنام في الأحشاء [٢]

---

(١) ديوان (أسراب الطيور المهاجرة) احمد سالم باعطب ، سبق ذكره ، ص ١٩٠ .

(٢) ديوان (لا ظل بتبعني) شتيوي الغيثي ، سبق ذكره ، ص ٢٩ .

٢) وهنالك من لم يلتزم ببحر معين بمعنى أنه خلط أكثر من بحر ، وخاصة بعض الشعراء الشباب ... ويمثل هذا النوع قصيدة (اليباب) لمحمد محسن الغامدي من ديوانه (السير على الأقلام) ، يقول :

لم تكن عائداً في المساء

كنت في اللحظة الآتية

غيمة من عطاء تباغت أسورة من عنب

قلت من أوقع الأشرعة

وحين سألناك غادرتنا لتعتصر التعب الآدمي

وفاجأتنا باختصار الألم . [١]

٣ – القافية :

للقافية مفهومان مشهوران تذكرهما الكتب القديمة الحديثة المفهوم الأول مذكور عن الخليل ، وهي الساكنان في آخر البيت مع المتحرك الذي قبل أولهما ، والمفهوم الثاني مذكور عن الأخفش وهي الكلمة الأخيرة من البيت .

---

(١) ديوان (السير على الأقلام) ، محمد محسن الغامدي ، سبق ذكره ، ص ٥١ .

ومن المعلوم أن العروضين والنقاد قد جعلوا القافية شرطاً من شروط الشعر ، فهذا قدامه بن جعفر وغيره يرى أن الشعر قول موزون مقفى دال على معنى ، ف " القافية شريكة الوزن بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية " [1]

ولا يختلف الشعراء في أثر القافية الموسيقي في الشعر ، فقد اهتموا بها اهتماماً كبيراً لعلمهم أنها النغمة الأخيرة التي تصل إلى المتلقي في كل بيت .

وقد تنوعت القوافي في شعر المكان السعودي وتعددت ، فقد كتب بعض الشعراء قصائدهم مستخدمين القوافي المقيدة وهي ما كان حرف الروي فيها ساكناً وهو ما نجده مثلاً لدى الشاعر عبد الله باشراحيل في قصيدته (بين جدة ومكة) من ديوانه (الأعمال الشعرية) ، يقول :

انشري " جدة " تاريخ الحقب واجعلي الآتي سطوراً من ذهب
جزت مد النور في إشراقه وتوشحت رداء من قصب
فتنة تختال في إبداعها روضة غناء تزهو بالطرب [2]

كما نجد القافية المطلقة وهي القافية المتحركة وهي الأغلب ، وتنوعت القوافي المطلقة ما بين مطلقة مجردة الخالية من الردف ، والتأسيس كما في قصيدة الشاعر أحمد المنعي " شمعة في ليل بغداد " من ديوانه (الحب كله) ، يقول :

---

(١) العمدة ، ابن رشيق " ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ص ١٥١ .

(٢) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ٢٠٤ .

في جـــرح بغـــداد أبحـــر أيهـــا الألم واســكب كنهــر الفــرات الشــعر يــاقلم
تجتـــاحني كـــل يـــوم ألـــف داهيـــة فأحتويهـــا ومـــا تختـــل لـــي قـــدم [1]

وما بين مطلقة مردوفة بالألف أو الواو أو الياء ، فالمردوفة بالألف مثل قول الشاعر عبد الرحمن العبيد في قصيدته (وقفة على الساحل) من ديوانه (في موكب الفجر) يقول :

يـــا بحـــر كـــم أخفيـــت مـــن أســـرار ونشـــــرت في الآفـــــاق مـــــن أخبـــــار
المـــــد فيـــــك تـــــثيره في رهبـــــة والجـــــزر فيـــــك تبثـــــه بوقـــــار [2]

والمردوفة بالواو مثل قول الشاعر ماجد الغامدي في قصيدته (العراق جمرة القلب) من ديوانه (حيث مر الغيم) يقول :

جمـــرة القلـــب أو قـــدتها الضـــلوع مـــن الظاهـــا كحـــل الأســـى والـــدموع
أمـــتي يـــا ربيبـــة المجـــد أصـــغي أيـن تلـك الجيـوش ... أيـن الجمـوع [3]

ونجد المردوفة بالياء لدى الشاعر مسفر العدواني في ديوانه (جمر الأنين) وبالتحديد في قصيدته (بغداد الرشيد) يقول :

---

(١) الحب كله ، أحمد المنعي ، سبق ذكره ، ص ٥١ .

(٢) في مركب الفجر ، عبد الرحمن العبيد ، سبق ذكره ، ص ١٤٥ .

(٣) حيث مر الغيم ، ماجد الغامدي ، سبق ذكره ، ص ٥٩ .

وجعلـــت أســـراب النجـــوم منـــابراً تلغـــي همـــوم البـــؤس والتســـهيد

ورسمـــت بغـــداد الرشـــيد حمامـــة تـــدعو جيـــوش الغـــدر للتوحيـــد [1]

وأيضاً يجد الباحث في شعر المكان السعودي القافية المطلقة المردوفة بالياء الموصولة بالهاء في قول الشاعر عبد الله باشراحيل من قصيدته (فوكلاند) من مجموعته الأعمال الشعرية:

فوكلاند يا أقصوصة في الناس قد أضحت مثيرة

هلا رأيت الإنجليز تسودهم حرب العشيرة [2]

ونطالع القافية الموصولة بالإلف المردوفة بالهاء في قصيدة (صرخة مدينة) للشاعر تركي العصيمي من ديوانه (قلب في أبها) يقول :

بعـــــد التبـــــاهي بالوســـــامة أصـــــبحت رمـــــزاً للدمامـــــة

أيـــن الجمـــال كمـــا عهـــدت علـــى جـــبين الدرشـــامة

لم تبـــــق إلا وصـــــمة ســـــوداء تبـــــدو كالعلامـــــة [3]

ووجد الباحث قصيدة خرجت عن النمط المألوف في الشعر العربي إذ جعل الشاعر قصيدته تشبه الشعر الشعبي حيث إن للصدر قافية وللعجز قافية يلتزمها في كل القصيدة ، وهذه

---

(١) جمر الأنين ، مسفر العدواني ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ .

(٢) الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، سبق ذكره ، ص ٢٤٠ .

(٣) قلب في أبها ، تركي العصيمي ، سبق ذكره ، ص ٢٢٤ .

القصيدة هي للشاعر حمزة الشريف من ديوانه (عطر تهامي) بعنوان (ملهمة الشعراء) يقول فيها :

ألهمـي مثلمـا ألهمـت قلـبي الشـعراء اسـكبي سـحرك يـا جـدة وحـي القلـم
أطلعيني يا عروس الشرق قد حان اللقـاء وهبـيني دفقـة يرقـي إليهـا حلمـي
ومـن الماضـي كـؤوس مشـروعات ونقـاء وأحاديـث الليـالي مـن شـهي الحكـم [1]

(١) عطر تهامي ، حمزة الشريف ، سبق ذكره ، ص ٢٣ .

الخاتمة :

إن دراسة مسألة المكان في الشعر السعودي ، اقتضت من الباحث مقاربة نظرية لمفهوم المكان لغة ثم اصطلاحاً ، في المجالين : الفلسفي : قديمه وحديثه ، وكذلك النقدي عربيه وغربيه ، وذلك بقصد بلورة السمات المفيدة الدالة عليه ، باعتباره موضوع البحث : متصوراً ذهنياً ومجالا إجرائياً . وهي السمات التي يستمد منها علامات تمايزه وعدداً من المصطلحات الأخرى القريبة منه دلالياً والتي يتلبس ببعضها دلالياً من مثل : الفضاء والحيز والبقعة ، إلا أن الباحث توصل في استقرائه لهذا المفهوم إلى بلورة السمات الدالة على المكان في القصيدة الشعرية السعودية ، التي تتخذ من المكان عنصراً تكوينياً مهماً من عناصر تشكيلها الفني والدلالي .

ثم استقرأ الباحث أشكال تجلي المكان في الشعر السعودي الحديث والمعاصر ، من خلال عدد مهم من دواوين مدونته ، فتوصل إلى صور متعددة للمكان ومتنوعة ، تمثل روافد أغناء وتنويع جمالي ودلالي للقصيدة السعودية ، حيث تجلى : مدينة تتعدد صورها وتتنوع ، لتكون : المدينة السعودية ، ممثلة في المدينة المقدسة : مكة المكرمة و المدينة المنورة ، والمدينة السياحية ، ممثلة بالأساس في مدن أبها والباحة والطائف وجدة والرياض ، وهي إلى ذلك المدينة العربية ، ممثلة في صور متعددة ومتنوعة ، منها المدينة السليبة ، كالقدس ، والمغتصبة : بيروت وبغداد ، والمدينة الثائرة : الجزائر ، والمدينة السياحية : تونس والدار البيضاء ودمشق و أبو ظبي ، وغيرها من المدن التي يقصدها الشعراء السعوديون للسياحة . وهي كذلك المدينة الأجنبية ، التي تراوح علاقة الشعراء السعوديين بها بين الألفة والعداء .

ثم يتجلى المكان في القصيدة السعودية في الوطن ، الذي اشترك الشعراء في تمجيد تاريخه ماضياً ونهضته الحضارية حاضراً ، وكذلك في الموطن ، الذي تغنوا به مهاد الطفولة والشباب ، ثم موضوع شوق وحنين عند فراقهم له ، ما يكشف عن ارتباط المكان وطنا وموطنا بالتجربة الحياتية والشعورية للشعراء ، والتي تجعلهم يتفاعلون معه وينفعلون بمختلف ما يربطهم به من ذكريات .

ويكتسب المكان صورة طبيعية متنوعة يرسمها الشعراء السعوديون ، من خلال تفاعلهم مع مظاهر جماله الطبيعي جبلا كان أو صحراء ، أو بحرا . إلا أن المكان في هذا الشعر السعودي يتجاوز حدود الواقعي إلي آفاق المتخيل ، لتكون مكاناً متخيلاً ، يتجلى في تلك المدينة الحلمية المثالية التي يفتقدها الشعراء واقعاً لينشدوها متخيلاً ، وهذا ما يحول المكان من الدلالة على الجغرافية المكانية للمدن السعودية والعربية والأجنبية ، إلى الدلالة على المكان الرمز ، المتصور الذهني ، ما جعل الكثير من الشعراء السعوديين يخرجون عن الإطار الوطني للمكان إلى إطار قومي ومنه إلى إطار عالمي ، إلا أنه وإن تميز الإطار الوطني للمكان بصوره المشرقة فان الإطار القومي للمكان تحضر فيه مدن شاهدة على الهزيمة ، وعلى ما أصاب الأمة العربية من عجز وتشتت كلمة وموقف ، ما جعل بعض بلادها ومدنها يستبيحها الأعداء ، مثل : القدس وبيروت وبغداد . وهو ما دعا الشعراء السعوديين إلى التفجع على تلك المدن ورثاء أحوال الأمة العربية ودعوة شعوبها إلى التوحد وإلى التمسك بتعاليم دينها كتابا وسنة حتى تستعيد قوتها وتجدد أمجاد السلف الصالح من أمتها .

وينصهر المكان في النسيج النصي للقصيدة السعودية ، وذلك من خلال اشتراك شعرائها في النزوع إلى المقارنة بين ما كانت عليه المدن العربية المغتصبة أو المنكوبة من مجد تاريخي ماضياً ، وما آلت إليه من دمار وحصار ومأساة حاضراً .

ويرى الكثير من الشعراء أن الحل يكمن في العودة إلى الإسلام والعمل بتعاليمه السمحاء كتاباً وسنة ، وذلك حتى يعود للعرب عزهم ، فيواصلوا أمجاد سلفهم .

وبناء عليه فإن قصيدة المكان السعودية عكست أربع دلالات أساسية ، هي : الدلالة الذاتية النفسية ، المستمدة من علاقة الشاعر بالمكان ، وما يسمها من انفعالات ، تتجلى في حالات عشقه له ، بفعل الوشائج القوية ، التي تربطه به في الأغلب ، كما في حالات نفوره منه في بعض النماذج الشعرية ، بينما تتجلى الدلالة المجتمعية ، فيما تكشفه علاقة الشاعر بالمكان المحلي المتعدد من قيم أخلاقية وسلوكية دالة على قيم مجتمعه الأصيل وأعرافه وعاداته وتقاليده .

أما الدلالة الثالثة فقومية تتجلى في مواقف الشعراء السعوديين من القضايا القومية التي تتجلى في عدد من المدن العربية السليبة أو المغتصبة والمنتهكة حرماتها من طرف الأعداء .

وأخيراً تتميز الدلالة الرابعة للمكان بأبعادها الإنسانية ، من خلال ما تجسده علاقة الشعراء السعوديين بالمكان من مشاعر إنسانية تتجاوز حدود الذات الضيقة والمحلية المحدودة وكذلك القومية العربية إلى مصاف إنساني ، يبرز القيم الإنسانية الخالدة ، من خلال تحول المكان إلى علامة محورية تفرعت عنها علامات أخرى ذات

أبعاد إنسانية عميقة : هي المكان المرأة ، المكان التاريخ ، المكان الحب والعشق والمكان الحلم . وهو ما يفيد أنسنة الشاعر السعودي للمكان ، من خلال تشخيصه أدبياً . وتحميله دلالات نفسية تكشف لنا عن وجدان الشعراء السعوديين في شتى حالاتهم وهو إلى ذلك كله مكان يراوح بين التحديد الجغرافي والإطلاق .

أما القصيدة المكان : دراسة فنية ، فقد تميزت بتعدد مستوياتها ، البنائية والبلاغية واللغوية . وهي مستويات ترادفت وتنافدت مع بعضها البعض لتنتج قصيدة المكان ، والمكان القصيدة ، بعد أن تحول المكان من موضوع للقول الشعري إلى مكان يحوي الذات الشاعرة السعودية وملفوظاتها وصورها وإيقاعاتها ، وجميعها تتضافر مع بعضها البعض لتنتج مختلف دلالاتها الجمالية والفكرية ، الذاتية منها والمجتمعية والقومية والإنسانية .

١ – المصادر :

أ – الدواوين الشعرية :

١. أسراب الطيور المهاجرة ، أحمد سالم باعطب ، دار البلاد ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ .

٢. أطلال المجد ، علي عبد الله الزبيدي ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

٣. الأعمال الشعرية ، عبد الله باشراحيل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج ١ ، ط ١ .

٤. الأعمال الكاملة ، محمد الثبيتي ، مؤسسة الأنتشار العربي ، بيروت ، النادي الأدبي بحائل ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

٥. الأعمال الشعرية الكاملة ، للشاعر محمد بن علي السنوسي ، نادي جازان الأدبي ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٦. الأماني الذابلة ، شريفة أحمد علي الزهراني ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، الباحة ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .

٧. أوجاع أنثى ، عبد الرحمن معيض آل سابي الغامدي ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، الباحة ، ط ١ ـ ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .

٨. البحر يغرق ، أمنة بنت محمد آل علية ، نادي جازان الأدبي ، جازان ، ١٤٢٥ هـ .

٩. البراعم ، غازي عبد الرحمن القصيبي ، دار القمرين للنشر والإعلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

١٠. الجرح إذا تنفس ، نجاة الماجد ، نادي الجوف الأدبي ، الجوف ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

١١. جمر الأنين ، مسفر العدواني ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، الباحة ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .

١٢. الحب كله ، أحمد المنعي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، الباحة ، ط ١ ، ٢٠١١ م .

١٣. حيث مر الغيم ، ماجد بن عبد الله الغامدي ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

١٤. حين تسير القافلة ، محمد بن عائض القرني ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطائف ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٥. خيلاء العتمة ، بشائر محمد ، دار الكفاح للنشر والتوزيع ، الدمام ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٦. ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية ، سارة الأزوري ، دار المفردات ، الرياض ، ٢٠١١ م ، ط ١ .

١٧. ذو العصف والريحان ، بهاء حسين عزي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

١٨. رائحة التراب ، إبراهيم عبد الله مفتاح ، منشورات نادي جازان ، ١٤١٦ هـ .

١٩. رؤى مسافر ، عبد الرحمن بن زيد السويداء ، الرياض ، ١٩٨٧ م ، ط ١.

٢٠. السير على الأقلام ، محمد حسن الغامدي ، منشورات النادي الأدبي بالطائف ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

٢١. صدى الأشجان ، حسن محمد حسن الزهراني ، الباحة ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م .

٢٢. الصهيل نحو الدائرة ، عبد الرحمن معيض آل سابي الغامدي ، الباحة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .

٢٣. عطر تهامي ، حمزة أحمد الشريف ، منشورات النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .

٢٤. عندما غنى الجنوب ، فاطمة القرني ، مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .

٢٥. في موكب الفجر ، عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد ، مطابع الشركة الشرقية ، الدمام ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ .

٢٦. قلب في أبها ، تركي العصيمي ، مطبوعات نادي أبها ، أبها ، ١٤١٧ هـ

٢٧. لا ظل يتبعني ، شتيوي الغيثي ، طوى للنشر والإعلام ، ط ١ ، ٢٠١١ م.

٢٨. لحن في أعماق البحر ، هيام عودة حمادة ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٧٠ م .

٢٩. لست وحيداً يا وطني ، بديعة كاشغري ، دار الخيال ، بيروت ،٢٠٠٩ م .

٣٠. للحلم رائحة المطر ، أشجان الهندي ، دار الفكر ، سوريا ، ٢٠٠٤ م – ط ٣ .

٣١. مدينة بلا ظلال ، مها على الجهني ، بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

٣٢. مرافئ الوجدان ، حسن محمد حسن الزهراني ، نادي الباحة الأدبي ، ط ١ .

٣٣. مواقيت الرمال ، محمد الصفراني ، النادي الأدبي بمنطقة الباحة ، دار الانتشار العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١ م .

٣٤. نفحات في نصرة الحق ، عبد الملك بن عواض الخديدي ، جدة ، ١٤٢٨ هـ .

٣٥. هذا أنا ، عبد الله محمد زمزمي ، نادي أبها الأدبي ، ط ١ – ١٤٢١ هـ .

٣٦. وشم على جدار القلب ، خليل الفزيع ، مطبوعات نادي الشرقية ، ١٤٢٤ هـ .

٣٧. الوطن ولاء وانتماء ، أحمد سالم باعطب ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠١ م .

ب – الكتب القديمة :

١. أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق خليل محمود عساكر وزميلية ، مطبعة بيروت ، ١٩٨٣ م .

٢. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هـ . رتير ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .

٣. الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، شرح الدكتور علي بوملحم ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .

٤. تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضي الزبيدي ، تحقيق د . حسين نصار (مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٤ – ١٩٧٤).

٥. التعريفات على بن محمد الجرجاني ، طبعة وصححة جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، ط ١ (دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م) .

٦. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ط ١ ، دار الباز ١٤٣٠ ، ج ١ .

٧. جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .

٨. الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط ١ ، مطبعة مصطفي البالي الحلبي ، ١٣٨٦ هـ ، ج ٣ .

٩. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط ٣ .

١٠. ديوان امرئ القيس ، تحقيق مصطفي عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م ، ط ١ .

١١. ديوان ذي الرمة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية / ١٤١٦ هـ ، ط ٣ .

١٢. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية / ١٤١٦ هـ ، ط ٣ .

١٣. شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .

١٤. الشعر والشعراء ، ا بن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، ١٣٨٦ هـ ، دار المعارف بالقاهرة .

١٥. الصحاح في اللغة والعلوم ، الجوهري ، المجلد الأول – مادة (بنى) ، دار العلم للملايين ، بيروت . ط ٤ ، ١٩٩٠ م .

١٦. عيار الشعر ، محمد بن احمد المعروف بابن طباطبا العلوي ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م.

١٧. المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٨. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف السكاكي ، تحقيق د . أكرم عثمان يوسف ، منشورات جامعة بغداد ، مطبعة دار الرسالة ، ط ١ ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

١٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٨٦ ، ط ١.

٢٠. نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

٣ – المراجع :

١. ابن خفاجة وتشكيل النص ، الذات تبحث عن نفسها في إطاري الزمان والمكان ، على الشرع ، مجلة : دراسات ، مجلد ١٨ / ٣٤ ، عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ص ١٩٤ .

٢. بناء القصيدة الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤١٧ – ١٩٩٧ م .

٣. بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، يوسف بكار ، دار الاندلس ، بيروت ، ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

٤. بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، الدار البيضا ، دار توبقال ، ١٩٨٦ م .

٥. بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

٦. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، نعيم اليافي ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٣ م.

٧. جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية ، عبد الحميد المحادين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١ م .

٨. جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

٩. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ٢٠٠١ م .

١٠. شاعرية المكان ، بريدي المنصوري الثبيتي ، ط ١ ، شريحة دار العلم للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

١١. الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي على صبح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت ، ط ١ .

١٢. الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت ، ليبيا ، ٢٠٠٧ م .

١٣. الصورة الفنية معياراً نقدياً ، عبد الإله الصائغ ، دار القائدي ، ليبيا ، ٢٠٠٧ م.

١٤. علم الاجتماعي الأدبي ، حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ ، ط ١ .

١٥. فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة ، أمل طاهر ، مجلة جامعة الملك سعود المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني، ٢٠٠٣ م .

١٦. الفضاء الروائي في الغربة ، منيب البوريمي ، سلسلة دراسات تحليلية ، دار النشر المغربية ، ١٩٨٤ .

١٧. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، بدوي طبانة ، الامجاد المصرية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

١٨. قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، على عبد المعطي محمد ، دار المعرفة ، الجامعة الإسكندرية ، ١٩٨٤ : ج ٢ .

١٩. مشكلة المكان الفني ، يوري لورتمان ، ترجمة سيزا قاسم ، مجلة ألف،العدد٦ .

٢٠. مشكلة البنية وأضواء على البنيوية ، زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ط ١ .

٢١. المدينة في الشعر العربي المعاصر ، مختار علي أبو غالي ، كتاب عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٦٩ ، ذو القعدة ١٤١٥ هـ إبريل ، نيسان ١٩٩٠ م .

٢٢. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتش ، ترجمة محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٢٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٨٦ ، ط ١ .

٢٤. نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ م .

٢٥. النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .

الفهرس

مدخل إلى الدراسة	٢
المقدمة	٣
مشكلة البحث	٥
أهمية الدراسة	٦
أسباب اختيار الموضوع	٧–٨
الدراسات السابقة	٨–٩
منهج الدراسة	٩
هيكلة الدراسة	١٠–١١
الفصل الأول : مفهوم المكان وفلسفته	١٢–٢٩
المكان لغة	١٣–١٥
المكان في الفكر الفلسفي	١٦–١٨
المكان في التراث النقدي العربي القديم	١٨–٢٥
المكان في النقد العربي الحديث والمعاصر	٢٥–٢٩
الفصل الثاني : أشكال حضور المكان في الشعر السعودي	٣٠–١١٩
المكان العنوان	٣٢–٣٥
المكان المدينة	٣٥–٩٢
المكان الوطن	٩٢–٩٨
المكان القرية والموطن	٩٨–١٠٤

المكان الطبيعي	١٠٤-١١٩
المكان المتخيل	١٢٠-١٤١
الفصل الثالث : المكان ودلالته في الشعر السعودي	١١٩-١٤٠
الدلالات الذاتية النفسية	١٢٣-١٣٤
الدلالات الاجتماعية	١٣٤-١٣٦
الدلالات القومية	١٣٦-١٣٨
الدلالات الإنسانية	١٣٨-١٤١
الفصل الرابع : قصيدة المكان دراسة فنية	١٤٢-١٨٠
مفهوم البناء الفني	١٤٣-١٤٥
المكان في القصيدة السعودية	١٤٦-١٥٣
الصورة	١٥٣-١٨٠
الخاتمة	١٨١-١٨٤
المصادر	١٨٥-١٩١
المراجع	١٩٢-١٩٤
الفهرس	١٩٥-١٩٦